وجهان لعملة نادرة

وجهان لعملة نادرة

رواية

رباب خليـــل

اسم الكتاب: وجهان لعملة نادرة
اسم الكاتبة: رباب خليل
تدقيق لغوي: شيرين عابدين
تصميم الغلاف: محمد سعد الشحات
الإخراج الفنيّ: جمال عبدالرحيم
الطبعة / الأولـى – يناير ٢٠٢٠ م
رقم الإيداع: 2019 / 27601

Arabiclibrary2017@gmail.com
Facebook.com/arabiclibrary2017

جميع الحقوق محفوظة للمكتبة العربية للنشر والتوزيع، ولا يجوز استخدام أي من المواد التي يتضمنها هذا الكتاب، أو استنساخها أو نقلها، كليا أو جزئيا، في أي شكل وبأي وسيلة، سواء بطريقة إلكترونية أو آلية، بما في ذلك الاستنساخ الفوتوغرافي، أو التسجيل أو استخدام أي نظام من نظم تخزين المعلومات واسترجاعها، دون الحصول على إذن خطي من الناشر.

"مقدمة الرواية"

الحياة مليئة بالمعجزات، فمن الوارد حدوث تشابه بين الأشخاص بعضهم بعضًا في الملامح، أو في الظروف، أو حتى في موقف ما من مواقف الحياة، ولكن هل يمكن أن تتشابه حياة شخصين حد التطابق؟ هل يمكن أن توجد شخصيتان متماثلتان لشخصين مختلفين؟

هذا ما أسميه بالمعجزة، فحقًّا الحياة مليئة بالمعجزات.

"إهـــداء"

- إلى الراقية عقولهم أولئك اللذين يبحثون عن الرقي والمتعة والإبداع.
- إلى كل من دعمني بتحفيز وكل من أحبطني بانتقاد.
- إلى أهلي وجميع أصدقائي وقرائي.

أهديكم روايتي "وجهان لعملة نادرة"

رباب خليل

(الفصل الأول)

"ناردين ونور الدين"

"ناردين"

بنت من محافظة الإسكندرية خمرية اللون، جميلة ذات عينين عسليتين جذابتين، ممشوقة القوام ومتوسطة الطول، في الخامسة والعشرين من عمرها، وحيدة أبويها، توفيت والدتها وهي في سن صغيرة؛ فتركتها وهي لم تزل بالصف الثاني الإعدادي.

بعد فترة قصيرة من وفاة والدتها تزوج أبوها بأخرى، وفي الحقيقة فإن زوجة أبيها لم تكن تسيء معاملتها، ولكنها أيضًا لم تكن تحبها أو تريدها.

كانت حياتها تقليدية للغاية؛ فأبوها تاجر أخشاب كبير له اسم في السوق، بعد وفاة والدتها، لم ترغب كثيرًا في أن تكون شيئًا مهمًا، كانت تعيش اليوم لا تفكر في الغد وما الذي سيحدث لها، مرت سنواتها بطيئة ومملة، كانت تحلم باليوم الذي تترك فيه هذا المنزل، وخاصة بعد أن أنجبت زوجة أبيها أخاها من أبيها.

بعد أن كانت هي محل اهتمام ورعاية أبيها، أصبحت كمًا مهملًا؛ فالولد الصغير سلب منها كل شيء، وأهمه على الإطلاق هو حب واهتمام أبيها،

كانت متفوقة في دراستها، تحب الزهور والعطور؛ لذا فقررت أن تدخل كلية الزراعة؛ لتتخصص في زراعة الزهور بجميع أنواعها.

بالفعل تخرجت في كلية الزراعة، وفور تخرجها تقدم لخطبتها شاب هو ابن لصديق والدها، محاسب يعمل بإدارة أعمال والده؛ فوافقت على الفور دون تفكير بالرغم من أنها لم تكن تعرفه، تزوجته لتتخلص من بيت أبيها وزوجته وأخيها المدلل، لكنها لم تكن تدري بأنها تخلصت من بيت أبيها؛ لتلقي بنفسها في بحر من الألم والعذاب.

كان زوجها هذا مريضًا نفسيًا شاذًا، كان يعذبها وهي تصرخ، تتوسل إليه ليرحمها من العذاب بينما هذا يسعده؛ برغم كل هذا لم يكن يقترب منها كزوجة، كان يتلذذ بتعذيبها جسديًا، حاولت أن تخبر أباها بما يفعله معها، ولكنها لم تستطع؛ فلقد خجلت كثيرًا، كيف ستصف لأبيها ما يفعله؟ وما يطلبه منها؟

تحملت في صمت هذا العذاب حتى كرهت حياتها، وكرهت معشر الرجال جميعهم، بدايةً من أبيها الذي تزوج بغير أمها؛ فجعلها تقبل بالزواج من هذا المختل؛ لتفر من حياتها البائسة، ولكنها لم تكن تعلم بأن حياتها البائسة تلك كانت أهون من حياتها المعذبة المحطمة الآن؛ فلا هي زوجة ولا هي مطلقة.

ظلت حياتها هكذا لسنتين من العذاب، حتى فاض الكيل؛ فلم تعد تتحمل، تلفت أعصابها وأصيبت بحالة نفسية سيئة؛ دخلت على إثرها المستشفى، هناك علمت الطبيبة النفسية منها كل شيء عن زوجها المختل ذاك؛ فأسرعت وأخبرت والدها على الفور، وطالبته بضرورة تطليقها من هذا الزوج، وإلا سوف تسوء حالتها، ولن تستطع الخروج من المصحة النفسية أبدًا.

بعد أن علم والد "ناردين" صدم! لم يكن يتخيل ما تعانيه ابنته لسنتين من العذاب والألم؛ فقرر أن ينهي عذاب ابنته فاتصل بصديقه والد الزوج وأخبره بكل شيء، ثم أمره أن يأمر ابنه بتطليقها فورًا.

أخيرًا حصلت "ناردين" على حريتها، ولكنها تحطمت نفسيًا لأبعد الحدود؛ فكرهت معشر الرجال جملة وتفصيلًا، اعتبرتهم أعداءها جميعهم بلا استثناء حتى آخر لحظة في حياتها.

بعد طلاقها حاولت استجماع نفسها مرة أخرى، وقررت أن تحقق حلمها؛ فتقدمت بطلب للحصول على قطعة أرض للاستصلاح الزراعي في مشروع شباب الخريجين.

بالفعل حصلت على الموافقة بعد أن تحققت فيها الشروط المطلوبة، كالمؤهل وغيره، وبمساعدة خالها، فهو مسئول كبير بوزارة الزراعة، توسط لها في أن تكون قطعة الأرض خاصتها في أبعد مكان كما أرادت هي، فكانت في واحة

سيوة التابعة لمحافظة "مرسى مطروح"، حيث أن هذا المكان مقصور على الشباب الذكور فقط.

فرحت "ناردين"؛ لأنها ستحقق حلمها في زراعة الزهور بجميع أنواعها، وكذلك صناعة العطور التي تعشقها، واستعدت لتجمع أغراضها وحقائبها؛ تمهيدًا للسفر في الصباح الباكر.

"نورالدين"

شاب في الثامنة والعشرين من عمره، من مدينة المنصورة، أبيض اللون، ذو عينين زرقاوين صافيتين كصفاء السماء، طويل القامة، ووسيم للغاية.

تخرج في كلية الزراعة، تخصص استصلاح الأراضي، وكان حلمه دائمًا أن تكون لديه مزرعة صغيرة، يعيش فيها سعيدًا مع أسرته التي كان يحلم بتكوينها؛ فلقد كان مرتبطًا بخطيبته كثيرًا، كان يعشقها حد الجنون، فهي ابنة خاله في الأساس وحبيبة طفولته وشبابه، وهو الابن الأكبر لأسرة متوسطة الحال، مكونة من أب يعمل نجارًا، وأم ربة منزل وثلاث أخوات بنات هو أكبرهن.

عندما تخرج كان حاله كحال ملايين الشباب بهذا البلد، فلم يستطع أن يحصل على أي فرصة عمل في أي مكان؛ فظل لسنوات يعمل بالنجارة مع والده بورشته الصغيرة، لكن الحال صعب، والظروف قاسية للغاية.

لم يستطع خلال تلك السنوات التي عمل بها مع والده من تكوين مبلغًا لخلو شقة ليتزوج فيها، وعندما تعثرت ظروفه تركته خطيبته وتزوجت بآخر، كان لديه من إمكانات الزواج ما لم تكن لدى"نور الدين"، فتركته بمنتهى البساطة قائلةً:

- **لقد انتظرتك كثيرًا، ماذا سأنتظر أكثر من ذلك؟ هل سأظل انتظرك حتى يشيب شعرى؟ بالطبع لا؛ فأنا أريد أن أعيش حياتي.**

صدم نور الدين؛ فكره نفسه وقلة حيلته، كره كل شيء، كره حياته، كره كل النساء، فرآهن خائنات، كاذبات، مخادعات؛ فقرر أن يغلق قلبه، وألا يسلم مفتاحه لأي امرأة حتى آخر عمره.

سمع عن مشروع استصلاح الأراضي لشباب الخريجين؛ فتقدم بطلب على أمل أن

يحصل على قطعة أرض للاستصلاح؛ فيحقق حلم حياته بإنشاء المزرعة التى يحلم بها، لكن هذه المرة حلم المزرعة سيكون له وحده، وسيعيش فيها بمفرده، لن تطأها قدم امرأة أبدًا.

لم يكن يعتقد بأن هذا المشروع حقيقة إلا عندما آتاه الرد بالموافقة على طلبه، وبأنه عليه التوجه إلى الواحات؛ لاستلام قطعة الأرض الخاصة به؛ ففرح كثيرًا وودع أسرته وحزم حقائبه استعدادًا للسفر في الصباح الباكر.

(الفصل الثاني)

"رحلة إلى المجهول"

في صباح اليوم الباكر، حزمت ناردين حقائبها واستعدت للسفر، وقبل أن تغادر استوقفها والدها قائلًا:

- هل ما زلت مصممة على السفر يا ناردين؟ ألن تتراجعي من أجلي يا بنيتي؟ فأنا في شدة الخوف والقلق عليكِ.

أجابته مبتسمة:

-لا تخف يا أبي، أنا بحاجة إلى هذه التجربة، أرجوك لا تحاول التأثير فيَّ؛ فأنا أريد أن أبدأ حياة جديدة بمكان جديد بعد ما عانيته في السنوات الأخيرة.

فتنهد الأب، وقد علم بأن ناردين قد اتخذت قرارها ولن تتراجع مهما حاول منعها، فنظر إليها بحزن قائلًا:

- حسنًا يا بنيتي، اذهبي، ولكن عديني بأنكِ سوف تحافظين على نفسك وتهتمين بصحتكِ، وبأنكِ سوف تتصلين بي يوميًا؛ حتى يطمئن قلبي.

ثم عانقها وأخذ يقبلها مودعًا، ابتسمت ناردين، وقد اغرورقت عيناها بالدموع، ثم ردت قائلة:

- حسنًا يا أبي، أعدك بأنني سوف أكون أفضل، لا تقلق، هيا استودعك الله، ثم استقلت سيارتها وغادرت متجهة إلى الواحات.

***

في اليوم ذاته، حمل نور الدين حقائبه وقد ودعته أمه بالدموع وبالدعاء له، وأصر والده على أن يوصله حتى موقف السيارات؛ ليستقل من هناك سيارة الرحلات إلى الواحات.

وفي الطريق دار هذا الحوار بين نور الدين ووالده، الوالد وقد امتلأت عيناه بالدموع، نظر إلى ابنه قائلًا:

- والله يا بني، إنه ليصعب علينا وعليَّ بشكل خاص فراقك هكذا، ألا يمكن أن تتراجع عن هذا السفر؟

فنظر إليه نور الدين بنظرة استسلام قائلًا:

-يا أبي، لم يعد أمامي حلًا آخر سوى السفر، فأنت تعلم بأنه يصعب عليَّ أنا الآخر فراقكم، لكنى مجبر، فأنا أريد أن أبني حياتي، أريد أن أحقق حلمي، أريد أن أبدأ حياتي من جديد في مكان جديد، بعيدًا عن كل حزن وألم عايشته، وبعد أن أبني مزرعتي التي أحلم بها سوف أرسل إليكم لتأتون إليَّ ونعيش جميعًا فيها.

فابتسم الأب ابتسامة يائسة؛ فلقد علم بأن ابنه محقًّا فيما يقول ثم قال:

- حسنًا يا بني، وفقك الله وسدد خطاك، ولكن لا تدعنا بدون خبر عنك، اتفقنا؟

- حسنًا، اتفقنا يا والدي لا تقلق.

وصل نور الدين إلى سيارة الرحلات، فاستقلها وجلس في الكرسي المخصص له بجوار نافذة السيارة، لوح لأبيه من النافذة مودعًا إياه بابتسامة حزينة، وعيون دامعة، وانطلقت السيارة في طريقها إلى الواحات.

وفي الطريق...

كانت ناردين تقود سيارتها، وهي متجهة إلى مكان مجهول، ومصير مجهول، فدارت بمخيلتها كل لحظة عاشتها، منذ أن ولدت وحتى هذه اللحظة التي تقود فيها سيارتها، فاسترجعت كل ذكرياتها؛ فوجدتها كلها أليمة بائسة لا تستحق الحزن عليها والعودة من أجلها؛ فواصلت طريقها في إصرار، محدثة نفسها:

- مهما كان الذي ينتظرني هناك، فأبدًا لن أتراجع، سوف أثبت نفسي، وأحقق حلمي مهما كانت الصعوبات، حسنًا يا ناردين لا شيء يدعو للخوف أو القلق.

ثم رفعت صوت مسجل السيارة على صوت فيروز، وهي تغني (زرونى كل سنة مرة) فضحكت قائلةً:

- بشرة خير.

وواصلت طريقها.

في سيارة الرحلات، قعد نور الدين بجوار النافذة وشرد بتفكيره بعيدًا؛ فلقد تذكر أيامه الماضية وطموحاته التي تحطمت، وأحلامه التي اغتيلت، لم يكن يخاف من المجهول الذي يسير إليه، فمهما كان الذى ينتظره هناك، بالتأكيد سوف يكون أفضل مما هو عليه الآن، هذا ما حدث به نفسه، ثم أسند رأسه على النافذة، وابتسم واغمض عيناه؛ ليحلم بما ينتظره من أول خطوة فى تحقيق حلمه، ثم راح في نوم عميق، وانطلقت السيارة في طريقها.

بعد عدة ساعات استيقظ نور الدين فزعًا على صوت اصطدام رهيب، هبط الجميع من سيارة الرحلات في انزعاج شديد؛ ليشاهدون ما الذي حدث.

(الفصل الثالث)

"وكانت البداية"

توقف سائق الحافلة وأسرع جميع الركاب ومن بينهم نور الدين ليشاهدون ماذا حدث، فإذا بهم يشاهدون سيارة جيب حمراء اللون، وقد اصطدمت بسيارة نقل كبيرة مما أدى إلى إخراج السيارة الجيب من على الطريق، وقد غرست عجلاتها في الرمال.

أسرع الجميع يحاولون إنقاذ من في السيارة، كان أولهم نور الدين، وعندما اقترب من السيارة ليفتح بابها ويخرج من بها وجد فتاة مغشيي عليها، ورأسها مصابة ببعض الجروح السطحية وهي ملقاة على عجلة القيادة، فاقترب منها محاولًا إفاقتها. عندما فتحت عيناها وجدت نفسها محاطة بعدد من الرجال فانزعجت كثيرًا، وبصوت مرتجف متقطع قالت:

- **ماذا حدث؟ ومن أنتم؟**

بينما كان نور الدين يمسح رأسها المصاب ببعض المناديل الورقية التي كانت بحوزته في تلك اللحظة نظرت إليه الفتاة بغضب شديد، ثم إزاحت يده عن رأسها في عصبية قائلةً:

– كفى، ماذا أنت بفاعل؟ أبعد يديك هذه عني.

غضب من ردة فعلها هذه؛ فبدلًا من أن تشكره تهينه هكذا بتعجرف؟ فرفع يده عن رأسها ثم نظر إليها بغضب قائلًا:

- حسنًا، لا أفعل شيئًا، كنت أحاول إنقاذك، لكنك لا تستحقين، حقًّا متغطرسة.

ثم تركها وذهب إلى الحافلة، قعد مكانه وهو يتمتم في غضب قائلًا:

- **مغرورة، متغطرسة.**

وهنا اجتمع الركاب حولها فقال أحدهم:

- **مهلًا يا سيدة، لمَ هذه الحدة؟ فنحن كنا نحاول إسعافكِ ومساعدتكِ ليس أكثر!**

نظر أحدهم إلى السيارة، وقد تعطلت تمامًا؛ فلقد غرست عجلاتها في الرمال وتعطل محركها تمامًا ثم قال:

- **لقد تعطلت سيارتكِ تمامًا، لم يعد بإمكانكِ استخدامها في الوقت الراهن.**

صدمت الفتاة، حاولت أن تدير سيارتها، ولكنها لم تستجب؛ فلقد توقفت بالفعل عن الحركة، غضبت ثم قالت:

- **أوف! ماذا سأفعل أنا الآن؟**

كل هذا يحدث ونور الدين يشاهد من نافذة الحافلة التي يجلس بجوارها وهو يقول:

- **جيد، تستحقين ذلك، متعجرفة.**

في حين تقدم منها سائق حافلة الرحلات وسألها مستفسرًا:

- إلى أين كنت تذهبين وحدكِ هكذا؟

فابتسمت في سخرية قائلة:

- **إلى أين تعتقد أنت بأني كنت ذاهبة يا ترى؟**
- **هل هذا الطريق يؤدي إلى مكان آخر غير الواحات برأيك؟**

ثم تمتمت:

- **هذا ما كان ينقصني الآن، أوف!**

انزعج السائق من جوابها الساخر هذا، لكنه لم يعقب ثم قال:

- **حسنًا، ونحن ذاهبون إلى الواحات، والآن سيارتك قد تعطلت، فإذا كنتِ تودين أن تستقلي الحافلة معنا فأهلا بك، وإن كنتِ لا تريدين كما تشائين، لكن اعلمي بأن هذا الطريق خطرًا للغاية، لن تستطيعي النجاة هنا.**
- شعرت الفتاة بالخوف؛ فلم تطل الأمر ثم قالت:
- **حسنًا، حسنًا، سوف أذهب معكم.**

وكان السائق مسنًا؛ فشعرت بأنها قد تعاملت معه بعدم تقدير؛ فاعتذرت منه على أسلوبها الساخر ثم سألته قائلة:

- **ما اسمك يا عم؟**

فأجابها السائق مبتسمًا:

- **اسمي فتحي وينادوني الناس بعم فتحي.**

فابتسمت قائلةً:

- **تشرفنا يا عم فتحي، وأنا ناردين.**
- **مرحبًا يا ناردين، ولكن هيا أسرعي، أغلقي سيارتك جيدًا، وهيا لنذهب قبل أن يحل علينا المساء؛ فما زال الطريق طويلًا.**
- أغلقت ناردين سيارتها وصعدت إلى الحافلة، كانت المقاعد كلها ممتلئة، لم يكن هناك مقعد شاغر سوى المقعد المجاور لنور الدين؛ ذلك لأنه كان قد حجز المقعدين؛ ليقعد في راحة حتى لا يزعجه أحد.

عندما صعدت ناردين فوجئت بأن المقعد الوحيد الشاغر كان الذي بجوار ذلك الشخص الذي أهانته هي منذ لحظات.

تقدم عم فتحى من نور الدين؛ حتى يستأذنه فى أن تقعد ناردين بجواره، فنظر إليها في ضجر ثم عقب متأففًا:

- **حسنًا يا عم فتحي لأجل خاطرك فقط.**

سمعت ناردين حديثهما هذا، وعندما ناداها عم فتحي لتقعد أشاحت بوجهها، ثم ذهبت إلى مقدمة الحافلة، قعدت على السلم الخاص بالباب

الأمامي واضعة حقائبها بجوارها دون أن تعلق، أو تلتفت إلى من فى الحافلة.

نظر إليها نور الدين في تعجب ثم علق غاضبًا:

- **كما تشائين، حسنًا فعلتِ.**

وهنا عرض عليها جميع الركاب بأن تقعد مكان أحدهم، لكنها رفضت وشكرتهم وأصرت على موقفها،ثم نظرت إلى نور الدين نظرة احتقار وهي تتمتم:

- **أحمق، عديم الذوق.**

ثم وضعت سماعة هاتفها في أذنيها، وكانت قد وضعت بعض المناديل الورقية على جبهتها المصابة، فقعدت تستمع إلى فيروز مطربتها المفضلة في صمت.

بينما نور الدين يتابعها بنظراته عن بعد، فأشفق عليها وفكر في أن يتقدم منها ويدعوها لتقعد بجواره بدلًا من قعودها هكذا على سلم السيارة، وخاصة أنها مصابة وفي حاجة إلى الراحة، ثم تراجع محدثًا نفسه:

- **كلا، هي حرة، فلتفعل ما تشاء.**

ثم عاود نظراته إليها مرة أخرى؛ فوجدها تتكئ برأسها على كفيها وقد بدا عليها أنها تتألم من أثر الإصابة. بعد تردد دام طويلًا قرر أن يدعوها للقعود؛ فنهض من مكانه واتجه نحوها، وبصوت جاد وجاف قال:

– تعالي، اقعدي؛ يبدو أنك متعبة، هيا تعالي ولا تعاندي.

فرفعت إليه نظرها وقد ازدادت غضبًا ثم قالت:

- **شكرًا لك يا عم فتحي هذا هو رقم هاتفي، اتصل بى أن احتجت إلى شيء ولا تتردد، اتفقنا؟**
- **حسنًا يا بنيتي، ولكن اهتمي بنفسك جيدًا.**

في هذه الأثناء جمع نور الدين حقائبه ليغادر السيارة، وأثناء مغادرته ازاح ناردين عن طريقه من على سلم السيارة بحقيبته، بينما كانت تحادث عم فتحي ثم هبط؛ فنظرت إليه في تعجب، ثم صرخت عليه بغضب قائلةً:

- أنظر أمامك، حقًّا شخص أحمق، أوف!

لم يلتفت إليها وكأنه لم يسمع شيئًا مما قالته، تابع طريقه متجهًا إلى المسئولين عن المشروع ليتسلم أرضه غير مبالٍ بها. جمعت هي الأخرى حقائبها، وتابعت طريقها متجهة إلى تسلم أرضها،، ولكن ما الذي سيحدث؟

(الفصل الرابع)

"خطوة على الطريق"

أسرع نور الدين وأحلامه تسبق خطواته إلى مكتب المسئولين عن المشروع؛ ليتسلم أرضه ويبدأ أولى خطواته نحو تحقيق حلمه. وصل إلى المدير العام لفرع المشروع بالواحات، فدخل وألقى السلام قائلًا:

- **السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أنا نور الدين ومعي خطاب بالموافقة على تسلم خمسة أفدنة هنا للاستصلاح.**

ابتسم المدير ثم رد السلام قائلًا:

- **وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، مهلًا مهلًا، أراك متحمسًا للغاية، تفضل، لتستريح أولًا ثم نتابع الإجراءات؛ فما زال الوقت أمامك.**

فابتسم نور الدين ثم رد قائلًا:

- **حسنًا.**

بالفعل تمت الإجراءات وتسلم نور الدين الخمسة أفدنة خاصته، أرسل المدير أحد العمال مع نور الدين في سيارة تابعة للمشروع؛ لتقله إلى أرضه وسكنه الذي سوف يقيم فيه بعد الآن. غادر نور الدين وهو فى غاية السعادة؛ فلم يكن يصدق أن ما يعيشه الآن حقيقة وواقع لا خيال.

ركب السيارة وجلس ينظر من نافذتها على صحراء مصر الخلابة، وشاهد البيوت البدائية، بيوت أهل الواحات كم هي بسيطة جدًّا، لكنها رائعة في نفس الوقت، شاهد الحياة البدوية التي كان يقرأ عنها في الكتب، شاهدها على أرض الواقع، بساطة الحياة وبساطة المعيشة، ولكنه لن يقيم وسط أهل الواحات؛ فهذا ممنوع لأنه غريب وأعزب، لذلك فهو سوف يقيم في السكن التابع للمشروع في قلب الصحراء، بعيدًا عن المناطق المأهولة بالسكان.

وصلت السيارة إلى الموقع، ووقفت أمام مبنى بدائي بعض الشيء، عبارة عن طابق واحد أرضي، مقسمًا إلى غرف، بداخل كل غرفة حمام، يفصل كل غرفة عن الأخرى باب، الطابق مكون من ستة غرف، إذن فهذا الموقع مخصص لستة أفراد، ونور الدين هو واحد منهم، الطابق مقسم لثلاث غرف على اليمين، ثم قاعة كبيرة تشبه المطعم هي بالفعل قاعة تناول الطعام، بها ثلاجات وبتوجازات، دولايب للأطباق والآواني، ودولايب للمخزون الغذائي، وبالمنتصف منضدة طويلة تكفي ستة أفراد توجد حولها ستة مقاعد، وعلى اليسار ثلاث غرف أخرى، فكانت الغرف ١،٣،٥ على اليسار، والغرف ٢،٤،٦على اليمين.

نظر نور الدين إلى المكان ثم صمت لوهلة، وكأنه قد انتابه بعض الخوف والقلق؛ فالمكان تحيط به الصحراء من كل جانب، قاطعه العامل قائلًا:

- **لقد وصلنا يابشمهندس، وهذا هو مكان إقامتك، هيا تفضل اختار رقم الغرفة التي تريد لأعطيك مفتاحها.**

فصمت نور الدين قليلًا ثم قال:

- **ألا يوجد أحد غيرى هنا؟**
- **لا يا بشمنهدس، فانت أول من قدم إلى هنا ولكن لا تقلق؛ فالمكان هنا آمن للغاية؛ فالحدود يؤمنها الجيش، وفي النهار سيأتي العمال لبدأ العمل فالأرض على بعد عدة أمتار من هنا.**

فابتسم نور الدين وقد شعر ببعض الطمأنينة بعد حديث العامل معه ثم قال:

– حسنًا، سوف أختار الغرفة رقم٤.

– ليكن، وها هو مفتاحها، هيا لأساعدك في وضع أمتعتك داخل الغرفة.

فتح نور الدين باب غرفته ثم جال ببصره داخلها؛ فوجدها غرفة بسيطة، لكنها منظمة وبها كل ما يحتاجه في هذه الظروف، بها فراش ودولاب للملابس ومرآة ومكتب ومقعد ومكتبة صغيرة معلقة على الحائط بجوار النافذة، وبساط بسيط صناعة يدوية مفروشًا على الأرض، وجهاز راديو صغير، والأهم من كل هذا هو الهاتف، يوجد هاتف بقاعة الطعام، ابتسم قائلًا:

- **غرفة لابأس، ثم استقر ووضع حقائبه، تركه العامل وعاد إلى موقعه في مكتب مدير المشروع الذي يبعد هو الآخر بعض الكيلومترات، ولكن قبل أن يغادر العامل أخبر نور الدين بوجود دراجة بخارية بجوار السكن، في حالة إذا ما حدث أمر طارئ يستدعى الذهاب إلى مكتب المدير أو ماشابه.**

استقر نور الدين، لكنه شعر بالوحدة في بداية الأمر؛ فلقد كان يعتقد بأنه سوف يكون بصحبة بعض الشباب، لكنه طمأن نفسه قائلًا:

- **سيأتون لاحقًا، فمن الواضح أنني قد جئت مبكرًا، ولكن لابأس.**

فقام بتوضيب أشياءه، وضع كل شيء في مكانه، ثم فتح الراديو ليستمع إليه؛ ربما يؤنس وحدته حتى قارب الوقت على الظهر؛ فتوضأ ثم أغلق صوت الراديو والباب وخرج يتجول في أطراف الصحراء حول السكن.

أثناء تجوله لمح من بعيد بيتًا صغيرًا جدًّا، وشاهد حوله بعض الخراف، كان هو البيت الوحيد الموجود بهذه المنطقة، فقادته قدماه نحوه، كما ساقه فضوله إلى معرفة ما هي حكاية هذا البيت؟ ولمن هو؟ واستمر نور الدين في التقدم نحو البيت.

نأتي لناردين.

فلقد وصلت بدورها إلى مكتب مدير المشروع، لتتسلم أرضها، ولكنها تأخرت؛ لأنها قد ضلت الطريق فأرشدها بعض الأهالي إلى الطريق الصحيح، ولكن بعد مرور ساعات من التعب والبحث، كما أنها اتصلت بالشرطة، لاستخراج سيارتها من الصحراء، وأعطتهم مكانها الحالي وهو مكتب المدير.

عندما دخلت إلى مكتب المدير اندهش هو والعمال؛ ذلك لأنهم لم يعتادوا رؤية نساء بهذه المناطق سوى نساء أهل الواحات، وهن لهن هيئة وزى معروف، أما هذه الفتاة الممشوقة القوام، ترتدي بنطالًا جينز وبالطو طويلًا، وحذاءً ذا كعب عالٍ، وتغطي شعرها بوشاح صغير ذي لفة عصرية، وتضع على رأسها نظارة سوداء، وفي أذنيها تضع سماعة الهاتف. واضح من مظهرها أنها من أصحاب الطبقات الراقية، كل هذا أثار دهشة الحضور، ولكنها قاطعت دهشتهم هذه قائلةً:

- **مرحبًا سيدى المدير.**

فأجابها المدير مبتسمًا:

- **مرحبا سيدتي، كيف يمكنني مساعدتك؟**

فأجابته في ثقة قائلةً:

- **معك ناردين، وهذا خطاب تسلمي قطعة أرض هنا للاستصلاح، تفضل.**

وناولته الخطاب؛ فأخذه وهو ينظر إليه ويقلبه يمينًا ويسارًا في اندهاش وتعجب، ثم رد قائلًا:

- **كيف ذلك؟ ممنوع على الفتيات العمل هنا، مؤكد أن هناك خطأ بهذا الخطاب؛ فهناك فروع للمشروع بالمحافظات، كما أنه يوجد فرع في العامرية بالإسكندرية، لا بد وأنه قد حدث خطأ في التوزيع...**

قاطعته "ناردين" في حزم قائلة:

- **سيدى المدير، لا يوجد خطأ في الموضوع، فأنا التي طلبت أن يكون مشروعي هنا، وخالي قد ساعدنى مشكورًا.**

وأعطته كارت باسم خالها، فعرفه على الفور.

- **والآن من فضلك نتابع الإجراءات؛ لأني متعبة جدًّا.**

فنظر اليها المدير متعجبًا من حالها ثم قال:

- **حسنًا،كما تشائين، ولكن اعلمي بأن الأمر ليس هينًا، بل أنه في غاية الصعوبة والمشقة...**

فقاطعته في حدة، وقد شعرت بالضيق من حديثه هذا، الذي يقلل من قدراتها لأنها امرأة قائلة:

- **من فضلك، هيا لننهي هذه الإجراءات.**

فنظر اليها المدير، ولسان حاله يقول:

- **مؤكد أن هذه المرأة مجنونة.**

ثم نادى على عامل آخر، وأعطاها أوراق الخمسة أفدنة خاصتها، وطلب من العامل أن يوصلها إلى أرض المشروع والسكن؛ فشكرته، ثم أخبرته بأمر سيارتها، وأنها أعطت الشرطة عنوان المكتب، وطلبت منه أن يرسل السيارة إليها في مكان سكنها الجديد. غادرت مع العامل، وفي السيارة أخذت تنظر إلى جمال الطبيعة الساحرة، وشعرت بالخوف والقلق لوهلة، لكنها تدراكت هذا الشعور قائلةً:

- **ما الذي يمكن أن يكون أسوأ مما مضى؟ أعتقد أنه لا يوجد أسوأ مما عايشته، ومهما كان الذي ينتظرني فلقد أصبحت قادرة على تجاوزه.**

ثم ابتسمت وهى تتمتم:

- والآن ستبدأ أولى خطوات حلمي، ولكن بالتأكيد سوف يكون هناك في المشروع شباب، أوف، لا أريد أن أرى وجه أي رجل، ولكن ما شأني بهم، فكلٌ منا له عمله.

ثم انتبهت على صوت العامل وهو يحدثها قائلًا:

- حسنًا يا سيدتي، لقد وصلنا.

فنظرت إلى المكان الذي سوف تقيم فيه، وكان الوقت قد شارف على المغرب، وشكل المكان يوحي بالرهبة للوهلة الأولى، وكان انطباعها عن المكان هو نفس انطباع نور الدين. نظرت حولها وبصوت متوتر قالت:

- **ما هذا؟ ألا يوجد أحد غيرى هنا؟ هل سأكون هنا بمفردي؟ أعني ألا يوجد سكان بالقرب من هنا؟ فالمكان شبه مهجور تمامًا.**

أجابها العامل قائلًا:

- **يا سيدة، هذا المكان مخصص للرجال؛ فأعذريني، ما عملك أنتِ هنا؟**

غضبت ناردين من كلمات العامل الذي رآها امرأة ضعيفة، ماذا ستفعل في مكان الرجال؟ ثم أجابته فى عصبية قائلةً:

- **أولًا: أنا لست سيدة، أنا مهندسة، ثانيًا: اصمت، وضع هذه الأمتعة فى غرفتى ثم اذهب إلى طريقك هيا، هيا أسرع.**

فرد العامل فى توتر قائلًا:

- **حسنًا يا سيد... عفوًا يا بشمهندسة، ولكن أي غرفة تريدين؟ حتى أسلمك مفتاحها، وأضع أمتعتك بداخلها.**

فأجابته فى حدة قائلةً:

- **الغرفة رقم (٤).**
- **حسنًا.**

ثم أخذ يبحث في المفاتيح الموجودة بحوزته عن المفتاح رقم (٤) فلم ولن يجده؛ لأنه بحوذة نور الدين أساسًا، فلقد اختار هو هذه الغرفة من قبل، لكن العامل لا علم له بهذا الأمر؛ فهذا عامل آخر غير الذي سلم نور الدين المفتاح في الصباح، ثم قال:

- **عفوًا، لا أجد بين هذه المفاتيح المفتاح رقم (٤)، ربما فُقِدَ في مكان ما.**

فأجابته ناردين:

-لا يهم، إذن، أعطني الغرفة رقم (٦).

- حسنًا تفضلي.

تسلمت ناردين الغرفة رقم (٦) ووضعت أمتعتها ووضبت أشياءها، ثم جلست وحدها تتلفت حولها في هذا السكون والظلام، حدثت نفسها قائلة:

- **ماذا فعلت أنا ؟ حقًّا كنت أريد أن أعيش وحدي بمكان بعيد، ولكن يبدو أن الوحدة شيء مميت مهما كنا بحاجة إليها، ولكن صبرًا، سأعتاد.**

ثم استلقت في فراشها ونامت من شدة التعب والإرهاق؛ فلقد كانت رحلة شاقة بمعنى الكلمة، ولكن ما الذي سيحدث؟

(الفصل الخامس)

"اصطدام"

أخذ فضول نور الدين يسبق خطواته باتجاه ذلك البيت الذي لمحه من بعيد، حتى وصل إليه بالفعل. عندما اقترب نظر حوله، فلم يجد أحدًا بالداخل، لم يجد سوى بضع عنزات وخراف، يبدو من الداخل كخيمة بدائية لا أكثر ولا أقل، لا توجد بها أي مقومات للحياة، وجد فراشًا على الأرض، عبارة عن بطانية قديمة مطوية؛ فاندهش هل يمكن أن يعيش أحد في هذا البيت المتواضع جدًّا الأشبه بالخيمة؟ ثم التفت مفزوعًا على صوت آتٍ من خلفه بلهجة بدوية قائلًا:

- **من أنت؟ وماذا تفعل هنا؟ من الذي أرسلك؟**

لم يكن الصوت فقط هو الذي يتحدث، كان هناك أيضًا مسدس مصوب نحو رأس نور الدين من الخلف؛ تجمد في مكانه مرتعدًا من شدة الخوف، وقد رفع يديه معلنًا استسلامه دون أن يلتفت وبصوت مرتجف أجاب:

- **عفوًا، عفوًا، لم يرسلني أحد، أرجوك أعطني الفرصة لأشرح لك الأمر، وأخفض هذا المسدس من فضلك؛ فأنا لن أؤذيك، أرجوك كن هادئًا.**

استجاب صاحب الصوت لنور الدين، وبالفعل أخفض المسدس، ثم قال:

- **التفت لأرى وجهك.**

فالتفت لينظر إلى صاحب الصوت البدوي، فإذا به شيخ كبير، ينظر إليه بعينيه الثاقبتين في ترقب، ثم قال:

- **هيا أخبرني، من أنت؟**

فأجابه نور الدين وقد ازداد توترًا وخوفًا؛ فالرجل يبدو عليه أنه قاطع طريق أو ما شابه، مظهره جد مريب ومخيف.

-أنا... أنا... نور الدين، المهندس الزراعى الجديد، استلمت اليوم أرضي في المشروع الذي هناك، هذا الذي تراه على بعد أمتار من هنا.

- ولقد رأيت بيتك من هناك فجئت للتعرف، شعرت بالأمان وأحببت أن أتعرف إلى سكانه؛ وذلك لأني شعرت بالوحدة فأردت الاستئناس، هذا كل ما في الأمر صدقني.

فنظر إليه الشيخ في صمت، ثم قال:

- **الأمر هكذا إذن؟**

ثم تابع:

- **مرحبًا بك يا بني.**

فاندهش نور الدين من نبرة صوت الشيخ التي تحولت من القسوة والجفاء إلى نبرة الترحيب، فتابع الشيخ حديثه:

- **وما الذي أتى بك إلى هنا؟ مما تفر أنت الآخر؟**

ازدادت دهشة نور الدين؛ فمن أين للشيخ أن يعلم بأنه بالفعل قد أتى إلى هنا هاربًا؟ فابتسم الشيخ قائلًا:

- **يا بني، هنا آخر قطعة من أرض مصر على الحدود، لا يأتي هنا إلا من يريد الهروب مثلي هكذا.**

فاستجمع نور الدين نفسه، ثم رد مستفهمًا:

- **مثلك؟ ومما تفر يا عم؟ ما اسمك يا شيخ؟**

فأجابه الشيخ مبتسمًا:

- **اسمي حامد تعال لنشرب الشاى أولًا، ثم أحكي لك حكايتي، وتقص عليَّ حكايتك.**

- **هل تعلم، لأول مرة منذ عشرة أعوام أتحدث إلى أحد؟**

فازداد نور الدين دهشة وحماسًا لمعرفة حكاية هذا الشيخ الغامض، وجلس يحتسي معه الشاي، وتبادلا أطراف الحديث فقال:

- **شيء عجيب، كيف تتحمل الحياة هكذا وحيدًا؟**

فابتسم الشيخ حامد في أسى وحزن قائلًا:

- **يا بني، بعد فترة من الزمن، بعد أن تعتصرك الأيام بآلامها وأحزانها، بعد أن تأخذ الدنيا منك أعز أحبائك، بعد أن تتكالب عليك الضباع لتنهش لحمك،**

وبعد أن يظلمك القريب قبل الغريب؛ تصبح الوحدة هي ملاذك الأخير مجبرًا، فلقد كنت في مثل عمرك هكذا تقريبًا، كنت مهندسًا ناجحًا، لي أسرة، زوجة، أولاد، حياة مستقرة بالقاهرة، كنت شابًا وشريفًا، فلم أقبل يومًا بأن أكون فاسدًا كما كانوا يريدونني أن أكون، رفضت الرشاوى وأن أصبح غنيًا من حرام، لكن زوجتى كانت تريد أن تحيا حياة ثرية؛ فكانت المشاكل بيننا دائمة على المال، لماذا لا أكون مثل أصدقائي الذين أصبحوا أغنياء وتكسبوا من عملهم؟ وهكذا. في أحد الأيام كنت أزور أحد أصدقائي في منزله، لم يكن يعلم بأنني سوف أذهب إليه، عندما فتح لي الباب ارتبك وكأنه رأى شيطانًا، ثم سمعت صوتًا يأتي من الداخل، ينادى عليه، وإذا بهذا الصوت هو صوت زوجتي، وكالعادة في مثل هذه المواقف، وكما يحدث في أفلام السينما، لم أتمالك نفسي عندما رأيتها في منزله؛ فدفعته ودخلت، انقضيت على حنجرتها لأقتلها،الخائنة، لكنه دفعني ثم أحضر مسدسه وحاول أن يقتلني؛ فدفعته، وخرجت الطلقة فأصابت زوجتي في رأسها فماتت على الفور، حاول هو أن يقتلني، لكنني استطعت أن أستحوذ على المسدس، وأطلقت عليه الرصاص فسقط قتيلًا في الحال، تركتهما وفررت هاربًا تاركًا أولادي خلفي، ولدًا وبنتين، تركتهم لأختي، وكان أهل هذا السافل من الصعيد، فأقسموا

على أخذ ثأر ابنهم مني، ومنذ ذلك اليوم وأنا هنا أعيش وحيدًا، طريدًا حتى استقررت بهذا البيت أرعى غنمي وأبكي حالي وحسرتي.

سمع نور الدين حكاية الشيخ حامد وهو لا يصدق ما يسمعه؛ فحقًّا كما كان يشاهد في الأفلام والمسلسلات، وقد تأثر كثيرًا، ثم ابتسم قائلًا:

- **يا عم حامد فلتعتبرني منذ اللحظة ابنًا لك، واسمح لي بأن أزورك هنا يوميًا، فأنا أيضًا وحيد ولا أحد لي هنا.**

ثم حكى له حكايته هو الآخر، وأنه قد هرب من ماضيه، ومن خيانة خطيبته له، واتفقا الاثنان على أن المرأة شيطان، وأنها رأس كل المصائب.

في المساء عاد نور الدين إلى سكنه، ففتح غرفته ودخل وأغلق الباب خلفه، ثم استلقى على فراشه ليستريح، وفي هذه اللحظات سمع صوت فيروز تغني، فنهض من فراشه ونظر حوله، ثم قال لنفسه **"يبدو أنني قد تركت الراديو مفتوحًا"** ثم نظر إلى الراديو فوجده مغلقًا؛ فشعر بالارتياب والخوف للحظة، ثم قال لنفسه **"لا بد أننى أتوهم، نعم، فالأفضل أن أنام الآن"**.

ثم استلقى في فراشه وحاول أن ينام، وعندما أغمض عيناه سمع صوت مفتاح يتحرك في باب الغرفة المجاورة لغرفته، ففتح عينيه في فزع، وقد شعر بالرعب حقًّا هذه المرة، فالمكان خالٍ، ولا يوجد به أحد غيره، ثم نهض من فراشه، وحاول أن يتقدم من الباب الذي يفصل الغرفتين عن بعضهما، وأخذ

يحرك المفتاح ليفتح الباب، ليرى ماذا يحدث؟ وما هى تلك الأصوات المرعبة المنبعثة من تلك الغرفة؟ وهو يقرأ آيات القرآن الكريم، وفي هذه اللحظة عندما فتح الباب الذي يفصل بين الغرفتين، سمع صوت صراخ، فلقد كانت ناردين هي التي تصرخ؛ فلقد ظنت هي الأخرى بأن الباب يفتح بمفرده، وأنه لا يوجد أحد غيرها في المكان، وعندما سمعت صوت المفتاح الذي يحركه نور الدين ارتعبت وخافت كثيرًا، وعندما سمع نور الدين صوت الصراخ، ارتعب بدوره ودفع الباب في خوف شديد، فإذا به يرى ناردين جالسة في فراشها، وهي مغمضة العينين واضعة يديها على أذنيها وتصرخ في هستيريا.

كانت المفاجأة لنور الدين؛ فلقد ظن أنه يتوهم، وأن هذه الفتاة ما هي إلا شبح ليست حقيقة، فوقف مكانه متجمدًا للحظات، ثم اقترب منها وهو يقرأ آيات القرآن الكريم بصوت مرتفع، حاول لمسها ليتأكد أن كانت حقيقة أم خيال يراه هو، وعندما أمسك بيديها صرخت أكثر، وفتحت عينيها من شدة الرعب، ولكنها سكتت فجأة عندما رأته أمامها، فلقد صدمت، لم تتفوه بحرف، فكل ما أتى بتفكيرها في هذه اللحظة أن هذا الذي يمسك بيدها، ما هو إلا شبح في صورة ذلك الشخص السيئ الذي قابلته، فأخذت هي الأخرى تقرأ آيات القرآن الكريم، وتستعيذ بالله وتدعوه أن ينجيها من هذا

الكابوس، وفي نفس اللحظة كان نور الدين يفعل نفس الشيء حتى انتبه الاثنان، فصمتا وهما ينظران إلى بعضهما بعضًا، ثم قالا وبنفس واحد **"مستحيل، أنتَ/ أنتِ؟!"**.

(الفصل السادس)

"المواجهة"

صمت كلٌ من ناردين ونور الدين وهما مذهولان تمامًا، ثم نطقا في نفس اللحظة **"مستحيل! ما الذي أتى بكَ/ بكِ إلى هنا؟"**.

ثم عادا للصمت مرة أخرى، وقبل أن يتحدث أي منهما، أشارت ناردين بيدها لنور الدين بإشارة مفادها تكلم أنت؛ فرد في غضب قائلًا:

- **غير معقول! لقد قتلتيني من الفزع، ما هذا؟ وكيف أتيتِ إلى هنا؟ وكيف سمحوا لكِ أساسًا بالحضور إلى هنا؟ فهذا المكان للرجال فقط.**

ثم تابع متأففًا:

- **استغفر الله العظيم، ما هذا البلاء يا ربي؟**

فاستفزتها كلماته السخيفة تلك، ثم ردت هي الأخرى بمنتهى العصبية والحدة قائلةً:

- **ما شأنكَ أنتَ؟ كيف أتيتُ؟ وماذا أفعل؟**

من أنتَ حتى تسألني وتحاسبني؟ فلتلزم حدودك من فضلك، ثم أنكَ أنتَ الذي أفزعتني، وفي الحقيقة فلقد انزعجتُ جدًّا من وجودك. هل تعلم؟ كنتُ أفضل أن تكونَ شبحًا حقًّا.

ثم تمتمت:

- **أوف! شخصٌ لا يطاق، ما هذا؟**

نظر اليها نور الدين وهي منكمشة في طرف الفراش، وكانت ما زالت تجلس على وضعها عندما كانت خائفة، ثم ضحك فجأة بهستيريا على منظرها وهي جالسة هكذا، فزاد ذلك من استفزازها، نظرت إليه بنظرة نارية في غضب ثم صرخت عليه قائلةً:

- **اخرج من غرفتي، هيا اخرج، اخرج.**

ثم نهضت وأخذت مفتاح الباب الذي يفصل بين الغرفتين؛ فدفعت نور الدين باتجاه غرفته، وأغلقت الباب خلفه بالمفتاح، ثم عادت إلى فراشها، وهي فى حالة تعجب كاملة مما حدث؛ فقالت محدثة نفسها **"والله أمر عجيب، هل يمكن أن يحدث شيء كهذا؟ ما هذه التصادفات العجيبة؟ حقًّا لا أصدق ما يحدث لي هنا منذ اليوم الأول، عجبًا! هل يوجد إنسان بهذا الكم من الفظاظة والغلظة."**، ثم تابعت **"كم أنتِ حمقاء وتتساءلين أيضًا؟! بالطبع يوجد، بل جميعهم هكذا، أنسيتي ما عانيتي منه في الماضى؟ إنك**

لحمقاء حقًّا."، ثم ابتسمت قائلةً **"على أي حال حمدًا لله، فلم أعد وحدي هنا، كم كنتُ فى شدة الفزع، ولكن هو وشأنه وأنا وشأني؛ فلا علاقة لي بهذا الفظ."**، ثم نامت من شدة الإرهاق والتعب.

خرج "نور الدين" من غرفة ناردين وهو يضحك قائلًا **"حقًّا، إنها لمعجزة، أمر في غاية التعجب، لقد مت من الرعب هذه الليلة، لقد كنت أتمنى وجود أحد غيري هنا؛ حتى لا أكون بمفردي في هذه الصحراء، ولكني لم أكن أريد تلك المتعجرفة، على أي حال، لا علاقة لي بها، فلتهتم بنفسها ولتبتعد عني، هي لشأنها وأنا لشأني."**، ثم ابتسم وألقى بنفسه على فراشه وراح فى نوم عميق.

في الصباح، في تمام الساعة السابعة، استيقظ نور الدين، ونهض ليبدأ أول يوم له في ممارسة عمله، فاليوم سيأتي العمال إلى الأرض لبدء العمل؛ فتجهز وخرج مسرعًا.

في المقابل استيقظت ناردين، ولكن في الساعة السادسة صباحًا، خرجت تتريض قليلًا، فهي تحب رياضة الركض، فدارت حول المكان، وفي أثناء عودتها إلى غرفتها؛ لتبدل ثيابها، وتستعد هي الأخرى للعمل في أرضها كان نور الدين خارجًا من غرفته في نفس اللحظة فاصطدمت به، ثم صرخت عليه بغضب قائلةً:

- **انتبه، ألا ترى أمامك؟ أعمى.**

فدفعها بعيدًا عنه ثم رد في غضب مماثل:

- **بل انتبهي أنتِ، انتبهي على خطواتك، وعلى كلماتك أيضًا، مفهوم؟ ثم أن السكن واسعًا وبه العديد من الغرف، اطلبي تغيير غرفتك في القسم الثاني من السكن؛ حتى لا أصطدم بكِ وأستريح من رؤيتكِ في كل لحظة.**

ثم تركها وغادر.

أما ناردين فقد استشاطت غيظًا ثم بسخرية قالت:

- **من تظن نفسكَ يا ترى حتى تعطيني أوامر وتملي عليَّ تحركاتي؟ مؤكد أنكَ مختل، فليكن بعلمك، أنا لن أغادر غرفتى، ولن أنتقل إلى أى مكان، هل فهمت؟ فلتذهب أنت، وتنتقل إلى أي جحيم تريد لتريح نفسكَ وتريحني من رؤية طلعتك البهية هذه.**

فالتفت ولم يعلق على كلماتها، اكتفى بنظرة استهزاء ثم تابع طريقه إلى الأرض، أما ناردين فلقد دخلت إلى غرفتها وهي تتمتم فى غضب:

- **مختل، هذا الشخص مختل فعليًا.**

ثم بدلت ثيابها وذهبت؛ لتبدأ اولى خطوات حلمها، إلى الأرض.

كانت من جملة الصدف التى أعدها القدر لهذين الشخصين، أن مشروع كلاهما ملاصقًا لمشروع الآخر، أى أن الخمسة أفدنة الخاصة بنور الدين بجوار الخمسة أفدنة الخاصة بناردين، يفصل بينهما سور من الخشب.

عندما وصلت ناردين لتتسلم أرضها على أرض الواقع شاهدت نور الدين، يتعرف إلى العمال الذين سيعملون في أرضه، وهم جميعًا مزارعون من أبناء الواحات، كان يوزع عليهم المهام وهو فى منتهى السعادة؛ فنظرت إليه من على بعد أمتار قليلة وهو يبتسم ويمازح العمال، وقد كست ملامحه الجذابة ابتسامة صافية أضاءت وجهه الأبيض، وكأن الشمس قد أشرقت على وجهه فمنحته نورها ليعكس ضوءه على كل ما انتهى إليه طرفه، كانت السماء الصافية قد سكنت عينيه الزرقاوين؛ فزادتهما صفاءً وبريقًا، نظرت إليه هكذا للحظات، ولكنه لم ينتبه إليها قط؛ فلقد كان مشغولًا بحلمه، سعيدًا بأنه سوف يبدأ أولى خطوات تحقيق أمله، ثم انتبهت إلى نفسها قائلةً: فى دهشة **"لا، ليس إلى هذا الحد، فغير معقول هذا الذي يحدث، هل أنا أحلم يا ترى؟ هل ما أراه خيالًا؟ فمستحيل أن يكون هذا واقعًا أبدًا."**.

فى هذه الأثناء ناداها صوت أحد العمال فانتبهت وهو يقول:

- **يا بشمهندسة، ألن نبدأ العمل؟ وما هى تعليماتك حتى ينفذها العمال؟**

- حسنًا، بالطبع سوف نبدأ أن شاء الله العمل، ولكن دعنا أولًا نتعرف إلى بعضنا بعضًا.

فابتسم العامل ثم قال:

- **حسنًا كما تشائين.**

ثم أشار إلى زملائه العمال وعرفها إليهم واحدًا تلو الآخر بالاسم حتى انتهى إلى نفسه، ثم قال:

- **وأنا رئيس العمال واسمى الريس صالح، وكلنا هنا من أهل الواحات، وقد فرحنا كثيرًا بمجيئكم؛ لأنكم قد قدمتم لنا فرص عمل جديدة، فهذا المشروع ساهم في تشغيل عمالة كثيرة منا.**

فابتسمت ناردين ثم قالت:

- **تشرفنا، وأنا المهندسة ناردين.**

وعندما رأت علامات الاندهاش على وجوه العمال؛ لأنهم لم يفهموا معنى اسمها ضحكت قائلة:

- **اسمي صعب قليلًا، ولكن يمكنكم مناداتى بالمهندسة.**

فضحك العمال ثم قالوا:

- **حسنًا.**

فقالت:

- **إذن، هيا بنا لنبدأ العمل.**

وبدأت في توزيع المهام على عمالها، فى هذه الأثناء التفت نور الدين إلى يساره، فشاهد العمال في أرض ناردين يعملون وكانت هى بينهم وهم حولها؛ فلم يستطيع نور الدين أن يراها، ثم التفت إلى رئيس عماله الريس حمدون قائلًا:

- **من هؤلاء يا ريس حمدون؟ هل أتى زميل جديد اليوم يا ترى؟ إذا كان الأمر كذلك، يجب عليَّ تهنئته والتعرف إليه في الحال.**

فأجابه الريس حمدون قائلًا:

- **لا أدري يا بشمهندس، دعني أذهب وأتحقق من الأمر وآتيك بالخبر.**

وقبل أن يجيبه نور الدين بحسنًا، توقف عن الكلام ثم علق متعجبًا:

- **لا داعي يا ريس حمدون، أبقى مكانكَ.**

ثم صمت فى دهشة؛ فلقد رأى ناردين وهي تشير بيديها لعمالها؛ لكي توضح لهم ما تريد فعله في الأرض، فوقف صامتًا للحظات وهو يتابعها من على بعد تلك الأمتار القليلة التى تفصل أرضه عن أرضها.

رآها وهي تتحرك في خفة ونشاط، وقد لونت أشعة الشمس الذهبية بشرتها الخمرية باللون الوردي الجميل، رأى عينيها العسليتين اللتين ازداد بريقهما

من شدة السعادة، كما أنه قد جذب انتباهه ذلك الوشاح التي ترتديه على رأسها، كم كانت ألوانه رائعة، مبهجة مفعمة بالحيوية! كأنها قوس قزح الساحر؛ فزادها جمالًا، وقد عكس ألوانه المبهجة على وجهها الجميل؛ فزادها إشراقًا وروعة.

انتبه نور الدين عندما رآها تلتفت بشكل مفاجئ لتقع عيناها في عمق عينيه؛ فهرب بنظره إلى الاتجاه المعاكس على الفور وهو يقول محدثًا نفسه بصوت خافت **"مستحيل أن يكون هذا واقع أبدًا، لا بد أننى أتوهم ذلك، مستحيل، مستحيل."**.

ثم التفت على صوت يحدثه بنبرة تحدٍ قائلًا **"هذه أرضي، ومن الغد سوف أقوم بتقديم طلب لبناء جدار بين أرضي وبين أرضك؛ فمستحيل أن أتحملك طوال اليوم وبالليل أيضًا."**.

وكان هذا الصوت هو ناردين؛ فلقد اقتربت من السور الخشبي الفاصل بين أرضها وأرضه عندما شاهدته ينظر إليها ثم تجاهلها؛ فنظر اليها نور الدين في تعجب، وبصوت ساخر رد قائلًا:

- **خيرًا تفعلي، ففي الواقع تكونين قد قدمتي إلى خدمة العمر؛ لأننى فى الحقيقة وبدون مجاملة لا أطيق رؤية وجهك أو سماع صوتك، لم أكن سعيدًا قط بمجاورتك لي هذه هيا، هيا، آه، وإذا احتجتي لتوقيعي**

على طلب بناء هذا الجدار سيكون هذا من دواعي سروري أن أوقع لإنهاء هذا الأمر، وحجب طلعتك البهية تلك عني.

فغضبت ناردين من كلماته الساخرة المستفزة تلك ثم قالت:

- **عديم الذوق والتربية، وقح، حقير.**

وتركته وغادرت، فرد نور الدين قائلًا:

- **بل أنتِ المتعجرفة، مغرورة، سخيفة.**

وقف العمال من الجانبين يشاهدون هذا السيل المتبادل من الشتائم وهم في تعجب من الأمر، ثم أشار كلٌ من الريس صالح والريس حمدون إلى عمالهم بأن يعود كل فرد لعمله تاركين ما ليس لهم به شأن.

مضى اليوم الأول، وفي المساء ماذا حدث؟

(الفصل السابع)

"هدنة طبق المعكرونة"

فى المساء عاد كلٌ منهما إلى غرفته، كلٌ منهما لشأنه.

بعد مرور ساعة، خرجت ناردين إلى المطبخ؛ لتعد لنفسها وجبة عشاء سريعة، ثم قعدت على الطاولة تتناول وجبتها، وكانت قد أعدت علبة تونة وخبزًا فقط.

فى هذه الأثناء خرج نور الدين من غرفته هو الآخر متجهًا إلى المطبخ باحثًا عن طعام؛ فوجد ناردين جالسة واضعة سماعة الهاتف في أذنيها وهي تأكل التونة مستمتعة بأغنياتها، فنظر إليها وإلى ما تأكله، ثم ضحك وبسخرية قال:

- **المدللة المتعجرفة، ماذا ستعد للعشاء غير هذا؟**

فلم تعيره أى انتباه، تركته يتحدث ولم تعقب، فدخل وفتش في المطبخ، وجد أكياسًا من المعكرونة، وأيضًا علبًا من الصلصة ،فابتسم وقال:

- **عظيم.**

ثم فتح الثلاجة فوجد بها جبن وزيتون، فأخذ ما يحتاجه من أشياء، ووقف يعد المعكرونة، أما ناردين فأخذت تتابعه بنظراتها دون أن تجذب انتباهه،

وبالفعل أعد طبقًا رائعًا من المعكرونة بالصلصة والجبن والزيتون، وكانت رائحتها شهية وفي منتهى الروعة، حتى إنها جذبت ناردين، لكنها لم تبدِ أي ردة فعل؛ حتى لا يشعر نور الدين بأنها قد أعجبت بهذه الرائحة التي أعدها هو.

أثناء ذلك لاحظ نور الدين بأن ناردين قد اشتهت المعكرونة التي أعدها، لكنها بالطبع لن تطلب منه أبدًا، فقام بإعداد طبقين ووضعهما على الطاولة، ثم سحب المقعد المقابل لناردين وقعد وسحب طبقه أمامه، ثم وضع الطبق الآخر أمام ناردين دون أن يتفوه بكلمة، وبدأ يتناول طعامه وهو صامت.

نظرت إليه في تعجب من فعلته هذه، ثم عقبت فى تهكم قائلةً:

- **خيرًا، ما هذا؟**

فأجابها دون ينظر إليها وهو يتابع تناول طعامه:

- **هذا طبق من المعكرونة كما ترين، ومعنى أني وضعته أمامكِ أى أنه لكِ، أليس هذا أفضل من هذا العشاء الذى أمامكِ؟ هيا تناوليه ولا تعاندي.**

وكالعادة فلقد أغضبها أسلوبه الفظ هذا فحدثت نفسها قائلةَ:

- **والله، أن هذا لشخص معقد، أمر عجيب، يفعل أشياء جيدة، ولكنه في نفس الوقت يحولها إلى أشياء في منتهى السوء والفظاظة.**

ثم أردفت قائلةً وهى تغادر الطاولة:

- **شكرًا لكَ، لا أريد فلقد تناولت طعامي.**

ثم تركته وذهبت إلى غرفتها وأغلقت بابها خلفها وهي تتمتم:

- **كنت أريد أن أتذوق هذه المعكرونة؛ فرائحتها في منتهى الروعة، ولكن هذا المختل لم يترك لي الفرصة. ماذا لو قدمها إلى بشكل لطيف؟ ولكن كيف لهذا الفظ أن يتعامل بلطف؟ من أين يعرف هذا معنى اللطف أصلًا؛ فهذه الكلمة ليست في قاموسه.**

ثم أدارت قنوات الراديو الخاص بها؛ فوجدت مسلسلًا إذاعيًا، جلست تستمع إليه وهي مسترخية في فراشها وتقرأ كتاب عن الزهور وأنواعها كمرجعًا لها سوف يساعدها في مشروعها.

بعد مغادرتها لقاعة الطعام، نظر نور الدين إلى طبق المعكرونة ثم شعر بأنه بالفعل قد كان فظًا جدًّا معها، وبأنه لو كان قد قدمه إليها بطريقة أكثر لطفًا ربما كانت تناولته، وخاصة أنه رأى بأن رائحتها قد أعجبتها. جلس يفكر للحظات ثم حدث نفسه قائلًا:

- **كان يجب عليكَ أن تكون أكثر هدوءًا ولطفًا، ولكنها هي التي تتصرف بغرور وتعجرف.**

ثم تابع:

- **على أي حال، واضح أن الحياة هنا لن تسير بشكل جيد في ظل هذه الحرب الدائرة بيننا؛ لذا يجب علينا أن نتفق على هدنة لنستطيع الحياة بشكل مقبول، فالحياة هنا فى منتهى الصعوبة والقسوة.**

ثم أمسك بطبق المعكرونة وبخطوات ثقيلة مترددة سار إلى غرفة ناردين وهو يقدم قدم ويتراجع بالأخرى، إلى أن وصل إلى غرفتها؛ فاستجمع قوته ثم طرق الباب، سمعت ناردين صوت طرقه على الباب فصاحت بصوت مرتفع:

- **خيرًا، ماذا هناك؟ ماذا تريد؟**

فأجابها وهو يحاول أن يتمالك نفسه حتى لا يغضب قائلًا:

- **تفضلي، فلقد أحضرت إليكِ طبق المعكرونة أريدك أن تتذوقينه، كما أنكِ لم تأكلي جيدًا، وتركتِ طعامكِ وغادرتِ.**

شعرت بأن نبرة صوته قد تغيرت تمامًا؛ فأصبحت أكثر لينًا وهدوءًا، كما أنه أحضر إليها المعكرونة التي تريد هي أن تتذوقها إلى بابها، فصمتت للحظات ثم تمتمت:

- **اهدأي، حاولي أن تكوني لينة بعض الشيء؛ فالحياة هنا صعبة للغاية، ربما إذا منحتيه فرصة يكون الأمر أفضل. حسنًا.**

فتحت الباب وأخذت طبق المعكرونة قائلةً:

- **شكرًا لكَ، سوف أتذوقها كما تريد، أعتقد أنها رائعة.**

ابتسم نور الدين لأول مرة منذ أن تقابلا، ثم قال:

- **حسنًا، والآن أتركك لتأكلين في حرية.**

ثم وقعت عيناه على الكتاب الذي كانت تقرأه، فأمسك بالكتاب وأخذ يتصفحه سريعًا ثم علق متعجبًا:

- **رائع هذا المرجع، رائع جدًّا!**

فابتسمت ناردين قائلة:

- **حسنًا، يمكنك قراءته إذا كنت تريد.**
- **بالطبع أريد؛ فهو سوف يفيدني في مشروعي، على أي حال أتركك الآن، ثم إذا سمح الوقت نتحدث حول مشروعكِ ومشروعي لاحقًا.**
- **حسنًا، نتحدث لاحقًا، وشكرًا على المعكرونة.**

ثم أغلقت الباب بعد أن غادر نور الدين وقد أخذ الكتاب معه، ودخل غرفته هو الآخر وهو يبتسم ناظرًا إلى الكتاب، وقد شعر بأن ناردين ليست متعجرفة أو مغرورة كما كان يراها، ربما تكون إنسانة جيدة إذا منحها الفرصة

لتفصح عن نفسها. في المقابل جلست ناردين تتناول المعكرونة وقد أعجبتها جدًّا، وهي تبتسم قائلةً:

- **لا بأس بها، رائعة، ولا بأس به هو الآخر، ربما إذا منحته الفرصة يستطيع أن يغير هذه الصورة التي هو عليها الآن.**

بالفعل كان طبق المعكرونة هذا هو بداية إعلان الهدنة بين ناردين ونور الدين لتبدأ بينهما أمور لم تكن بحسبان أى منهما قط. ترى ما هي؟

(الفصل الثامن)

"يوم وليلة"

استيقظت ناردين فى تمام الساعة السادسة صباحًا، ثم خرجت تتريض كما هي معتادة يوميًا، وكان نور الدين ما زال نائمًا، ثم عادت إلى السكن في حوالي الساعة السادسة والنصف، فدخلت إلى قاعة الطعام وقامت بإعداد وجبتين من الفطور وفنجانين من القهوة، وضعتهما على الطاولة وهي تقول:

- **حسنًا، والآن أكون قد قدمت إليه مقابل ليلة أمس، ونصبح متعادلين؛ حتى لا يكون هو أكرم منى.**

ومع نهاية آخر كلمة نطقتها ناردين كان نور الدين يقف خلفها وهي تحدث نفسها بتلك الكلمات دون أن تشعر بوجوده خلفها؛ فابتسم ثم علق قائلًا:

- شكرا لكِ.

فتفاجأت بصوته الذي أتى من خلفها، وأسقطت فنجان القهوة من يديها من شدة الفزع؛ فلقد أفزعها جدًّا هذا الموقف المفاجئ من نور الدين، ثم التفتت إليه، وفي غضب صرخت عليه قائلة:

- **ما هذا؟ لقد أفزعتني جدًّا، الناس الطبيعيون يصدرون أصواتًا، يعلنون عن وجودهم، لا يتسللون هكذا كاللصوص والاشباح.**

فنظر اليها نور الدين ولم يستطع أن يتمالك نفسه من الضحك؛ فانفجر ضاحكًا على ما أحدثه فنجان القهوة من رتوش على بنطال ناردين؛ فلقد رسم لوحة كوميدية على منطقة الفخذين، ثم تمالك نفسه قائلًا:

- **عفوًا، عفوًا، لا تغضبي لم أكن اقصد إزعاجكِ وإخافتكِ إلى هذا الحد.**

ثم تابع ضاحكًا، وقد ازداد وسامة بتورد وجهه.

- **واضح أنكِ أكرم مني، فلقد استيقظتي مبكرة لتعدي لي الفطور، وأيضًا فنجان القهوة الرائع هذا.**

ثم جلس على الطاولة، وأخذ يتناول الفطور، ويحتسي القهوة في هدوء أعصاب أثار ناردين التي استشاطت غضبًا من أفعاله المستفزة تلك؛ فتركته وغادرت إلى غرفتها لتبدل ثيابها.

فى غرفتها وهي تبدل ثيابها حدثت نفسها قائلة:

- أوف! ما هذا الانسان؟ حقًّا، إنه شخص بشع، بشع.

ثم نظرت إلى المرآة محدثة صورتها قائلةَ:

- **الحقيقة هو ليس بشعًا بمعنى الكلمة، أعنى أنه...**

ثم ابتسمت عندما تذكرت ملامحه الوسيمة وهو يضحك، فتابعت:

- **ليس سيئًا ولكنه أحمقًا، يجب عليه أن يتعلم كيف يتعامل مع الجنس اللطيف.**

ثم نظرت إلى ساعتها وقالت:

- **لقد تأخرت، الساعة تجاوزت السابعة، وعليَّ الذهاب إلى الارض الآن.**

فأتمت ارتداء ملابسها، ثم خرجت مسرعة وهي معتقدة بأن نور الدين قد سبقها إلى الارض، لكنها فوجئت به ينتظرها أمام غرفتها وفي يده فنجان من القهوة جديد وساخن؛ فابتسم قائلًا:

- **قهوتك.**

ومد يده بالفنجان إليها؛ فنظرت إليه في تعجب ثم ابتسمت قائلة:

- **هل هذا تعويض عن فنجاني المسكوب؟ أم أنه اعتذار ممن تسبب فى سكبه؟**

فابتسم نور الدين قائلًا:

- **هذا كرم زائد مني؛ فلقد أردت أن أكون أكثر كرمًا منكِ.**

ثم ضحك؛ فأدركت بأنه يمزح، وبأنه أراد الاعتذار، لكن كبرياءه يمنعه من الاعتراف بذلك، فابتسمت قائلةً:

- **حسنًا، ليكن كذلك، ولكنى لن أستطيع أن أحتسي قهوتي هنا، فلقد تأخرت كثيرًا وأنت أيضًا.**
- **لا يهم، احتسي قهوتكِ على مهل، سوف أقلكِ معي في طريقي إلى الأرض.**
- **كيف ستقلني؟ هل لديك سيارة؟ للأسف أنا ما زلتُ أنتظر إصلاح سيارتي وإرسالها إلى هنا، وما زال أمامها الكثير من الوقت.**

تركها نور الدين تتحدث وذهب خلف السكن ثم عاد ومعه الدراجة البخارية قائلًا:

- **سوف أقلكِ بهذه، ما رأيك؟**

فضحكت "ناردين "على هيئة الدراجة البخارية؛ فلقد كانت قديمة جدًّا وتبدو متهالكة، ثم قالت:

- **أعتقد أنه إذا ذهبت سيرًا على الاقدام فسوف أصل أسرع من هذه.**

وانفجرت في الضحكات، لم يعقب نور الدين على تعليقاتها الساخرة، فلقد كان مشغولًا بالنظر إلى وجهها الجميل وعينيها العسليتين الضاحكتين، وضحكاتها الساحرة. نظر إليها هكذا للحظات وهي تضحك بتلقائية وعفوية، ثم انتبهت إلى نظراته؛ فتمالكت نفسها وكفت عن الضحك قائلةً:

- **عفوًا، هيا لقد تأخرنا.**

ركب نور الدين الدراجة وركبت ناردين خلفه وانطلقا صوب الأرض، وفي الطريق كان الصمت هو سيد الموقف؛ فنور الدين يسترجع كل المواقف التي جمعته بناردين منذ أول لحظة وحتى هذه اللحظة محدثًا نفسه:

- **ما هذا الذي يحدث؟ ما هذه التصادفات التي جمعته بها؟ هل القدر قد رسم له طريقًا جديدًا وكتب له حكاية جديدة سوف يعيش صفحاتها مع هذه المشاغبة؟ ربما، ولكن أليست هذه امرأة؟ ألن تخونه في يوم وتتركه مثلما فعلت خطيبته السابقة؟ لا، لا يجب أن ينجرف إلى ذلك الشعور؛ فهي زميلة ليست أكثر.**

فى نفس لحظات الصمت تلك كانت ناردين هي الأخرى تحدث نفسها وتسأل نفس الاسئلة:

- **هل ستكون هناك حكاية تكتب هي ونور الدين سطورها؟ ولكن كيف؟ أليس نور الدين ذلك رجلًا؟ قد يكون مثل زوجها السابق أو ربما يكون أبشع؟ لا، لا يجب عليها أن تفكر في هذا الأمر مطلقًا، سوف تكتفى بكونه زميلًا وأنيسًا في غربتها الموحشة فقط، إنما لن يكون حبيبًا وهذا هو الصواب.**

وصلا إلى الأرض، وبداخل كل منهما هذا القرار، إنهما زميلان ليس أكثر، وانصرف كلٌ منهما إلى أرضه، وبدأ اليوم والعمل طوال اليوم حتى المساء،

وعاد المزارعون إلى ديارهم، وغادرت ناردين بصحبة نور الدين إلى مسكنهما بنفس الوسيلة التي ذهبا بها إلى الأرض صباحًا، الدراجة البخارية وبنفس الصمت، حتى وصلا إلى مسكنهما، كانا متعبين من شدة العمل، فتناولا طعامًا خفيفًا. قالت ناردين:

- **تصبح على خير، أنا سوف أنام لاني متعبة جدًّا، واليوم كان شاقًا.**

فرد نور الدين:

- **وأنتِ من أهله، أنا أيضًا متعب، وسوف أنام على الفور.**

بالفعل دخل كلٌ منهما إلى غرفته، فأخذ نور الدين حمامًا دافئًا، وبدل ثيابه ثم استلقى في فراشه وهو يفكر بما حدث طوال اليوم، ثم سرعان ما غط فى نوم عميق.

فى المقابل بدلت ناردين ثيابها بعد أن أخذت هي الأخرى حمامًا دافئًا، واستلقت في فراشها، وبعد لحظات من التفكير فيما حدث ذهبت فى نوم عميق. ظل الوضع كذلك لمدة شهران، وفي إحدى الليالي وبعد منتصف الليل هاجم ناردين ألمًا فظيعًا في بطنها؛ فاستيقظت من شدة الالم، بحثت عن مسكنات؛ فوجدت في حقيبتها، تناولت قرصًا من الأقراص المسكنة وهي تتألم، ثم عادت إلى فراشها على أمل أن يخف تأثير الألم بعد المسكنات، لكن على العكس؛ فلقد ازداد الألم وبشدة فلم تتحمل، أخذت تصرخ من شدة

الألم حتى سمع نور الدين صوتها، فاستيقظ مفزوعًا، هرول إلى غرفتها وهو يطرق بابها في فزع قائلًا:

- **ناردين، ناردين، ما بك؟ افتحي هذا الباب، ماذا يحدث؟ ناردين، ناردين.**

سمعته وهو يصرخ عليها فزعًا، لكنها لم تستطع أن تجيبه من شدة الألم، ولم تستطع أن تتحرك من مكانها، ظلت تصرخ وتصرخ، ونور الدين فى الخارج لا يعرف ماذا يحدث؟ ولا ماذا يفعل؟ ثم هداه تفكيره؛ فأسرع إلى المطبخ وأحضر سكينًا وعاد إلى باب غرفة ناردين، أخذ يحاول فتحه بالسكين، وبعد محاولات كثيرة فتح الباب بالفعل، فدخل مسرعًا، وجدها تمسك بطنها بيديها وهي تصرخ من شدة الألم فى فراشها؛ فاستنتج أن ما يحدث لناردين قد يكون التهابًا في الزائدة الدودية، حاول أن يتمالك نفسه، ثم اتصل بالهاتف بمدير المشروع، ولكن للأسف كانت الخطوط مقطوعة نتيجة الظروف الجوية الصعبة؛ فلقد كانت هناك نوة، والطقس في منتهى السوء. لم يجبه أحد، نظر إلى ناردين في شفقة قائلًا:

- **تحملي يا ناردين، إن شاء الله سوف تمر هذه الأزمة، اطمئني؛ فانا معك ولن أتركِ.**

نظرت إليه ولم تنطق بكلمة، فقط تتألم وتبكي، تذكر نور الدين ذلك الرجل الذي يبعد عنهما بضعة أمتار، الشيخ حامد فقال:

- **هيا، لن ننتظر أكثر من ذلك، ربما تكون الزائدة وهذا أمر خطير.**

وكانت ناردين بزي النوم، ترتدي بيجاما، وشعرها ينساب على وجهها، فأحضر نور الدين معطفًا من خزانتها ولفها به ثم حملها على يديه وهو يجري مسرعًا. أخذ الدراجة البخارية ووضعها أمامه، وانطلق مسرعًا إلى الشيخ حامد يطلب منه المساعدة والنجدة، وبالفعل أرشده الشيخ حامد إلى طريق مختصر يصله إلى المستشفى، فدخل نور الدين وهو يحمل ناردين على يديه وهي في شدة التعب والألم، ثم صرخ قائلًا:

- **أرجوكم ساعدونى بسرعة.**

فأتى طبيبًا وقال:

- **ماذا يحدث؟**

فأجابه نور الدين في فزع قائلًا:

- **أرجوك ساعدني؛ فهي تتألم بشدة.**
- **حسنًا، حسنًا.**

- وأشار إلى الممرضين أن يحضروا المريضة إلى غرفة الاستقبال فورًا، وبعد الكشف، وبينما نور الدين في الخارج ينتظر فى ترقب وقلق خرج الطبيب وقال:

- **هل أنت زوج المريضة؟**

فصمت نور الدين أمام هذا السؤال ولم يعقب، فقال الطبيب:

- **علينا إجراء عملية فورًا؛ فالزائدة على وشك الانفجار، ويجب عليك أن توقع على إقرار العملية.**

فأجابه نور الدين في انزعاج بدا جليًا:

- **حسنًا، حسنًا، أوقع، أرجوك افعل اللازم وأنقذها.**

فقال:

- **لا تقلق، إن شاء الله ستخرج زوجتك سَالمة.**

ودخلت ناردين إلى غرفة العمليات، بينما نور الدين ينتظرها في الخارج.

(الفصل التاسع)

"وبدأت الحكاية"

دخلت ناردين غرفة العمليات وظل نور الدين منتظرًا خروجها بالخارج في قلق حتى انتهت العملية، وخرجت من غرفة العمليات، لكنها ما زالت تحت تاثير المخدر وغائبة عن الوعى تمامًا.

عندما شاهدها نور الدين تخرج تنفس الصعداء ثم حمد الله كثيرًا، سار معها حتى أدخلها الممرضون إلى الغرفة العادية لتستفيق، شكر الطبيب ثم جلس بجوارها ينتظر إفاقتها.

في هذه الأثناء لم يكن بالغرفة سوى ناردين نائمة ونور الدين جالسًا بجوارها، ينظر إلى وجهها الجميل البريء وهو يحدث نفسه قائلًا:

- **ما أجمل ملامحكِ البريئة تلك! وكأنكِ ملاكٌ نائمٌ، هل تعلمين؟ يحدث داخلي أشياء غريبة لا أعلم ما تفسيرها، لقد أغلقت قلبي منذ فترة؛ لأنه تألم كثيرًا وما زال حتى الآن يعانى من هذا الألم، لكني أجدني رغمًا عني منجذبًا إليكِ. هل تعلمين؟ كم أخشى من انجذابي هذا، أعتقد بأنه سوف يدمرني فى النهاية، ورغم ذلك فإني أجد في نفس الوقت راحة في القرب منكِ، لا أدرى ما مبررها، لكن عقلي**

يحدثني بالوقوف بعيدًا عنكِ، وهذا ما سأحاول أن أفعله، أعتقد أن هذا هو الأنسب لي ولكِ؛ فالأفضل أن لا نقترب أكثر من ذلك.

وهنا قاطع حديثه هذا صوت ناردين وهي تهذي ببعض الكلمات قائلة:

- **أبي، لماذا تركتني وحدي؟ لماذا تركتني له ليعذبني؟ أنا أكرهه وأكرهكَ أنتَ أيضًا يا أبي، لماذا أهملتني برغم أنني أحبكَ كثيرًا كثيرًا؟ آه، بسببك يا أبي، فكل ما عانيته كان بسببك، لقد ماتت روحى، لقد متُ، لقد متُ أنا. آه، آه، أنا أموت، ليتني أموت وأستريح.**

ثم صمتت وعادت لنومها. سمعها نور الدين فى اندهاش، سمع كل حرف تفوهت به، فعلم بأنها هي الأخرى قد تألمت كثيرًا، ولكنه لا يعلم، ماذا حدث لها، وما هو هذا الألم الذى قتل روحها. نظر إليها في شفقة وتألم ثم تمتم:

- **من أجل ذلك... من أجل ذلك...**

ثم تابع:

- **من أجل ذلك كنتِ تعاملينني بهذه القسوة وبهذا الجفاء، ولكن من هذا الذي تحدثتي عنه؟ من هذا الذي عذبكِ وقتلكِ هكذا؟**

في هذه اللحظات قاطعه صوت ناردين وهي تتألم قائلة:

- **آه، آه، أين أنا؟ وما الذي حدث لي؟**

فأجابها نور الدين مبتسمًا:

- **حمد لله على سلامتك فلقد أجريت لكِ عملية لإزالة الزائدة الدودية، اطمئني فأنتِ بخير الآن.**

فابتسمت وبصوت متألم قالت:

- **شكرًا لكَ؛ لقد أنقذت حياتي والآن أصبحت مدينة لكَ بها.**

فابتسم ثم رد قائلًا:

- **لا عليكِ، دعكِ من هذا الكلام الكبير، فأنا فعلتُ ما وجب عليَّ، ولو كنتِ أنتِ التي بمكاني لفعلتِ مثلي وزيادة، المهم يجب أن تتماثلي للشفاء بأسرع وقت ممكن؛ حتى نعود إلى عملنا، وحتى تستردي عافيتكِ، سوف أقوم أنا بمباشرة العمل في مزرعتكِ ومزرعتي، ثم أعود إليكِ في المساء.**
- **اها، بالمناسبة هل تحتاجين لشيء أحضره معي؟**

فابتسمت ثم قالت:

- **شكرًا لك، نعم، من فضلك أريد بضعة أغراض من أغراضي.**

فرد قائلًا:

- **حسنًا، سوف أحضر ما تريدينه معي في المساء. هل تريدين أن نخبر أهلكِ بما حدث لكِ ليطمئنوا عليكِ؟** فتغيرت تعابير وجهها واختفت الابتسامة وحل محلها الحزن، ثم ردت بصوت يملؤه الحزن والألم قائلة:

- **لا، لا يوجد داعٍ لإخافتهم وإزعاجهم.**

ففهم على الفور بأنها لا تريد أن تتحدث عن أسرتها، وخاصة بعد ما سمع حديثها عن والدها؛ فنظر إليها في تأثر ثم قال:

- **حسنًا، لا تهتمى الآن، ثم أنني سوف أعتني بكِ حتى تعودي كالسابق بل أفضل، فهذا واجبي بصفتي شريككِ وجاركِ، أليس كذلك؟**

ثم ابتسم وودعها بتلك الابتسامة قائلًا:

- **نلتقى في المساء إن شاء الله، هيا استريحي أنتِ الآن.**

غادر غرفتها وهي تتبعه بنظراتها حتى اختفى تمامًا من أمامها، فابتسمت متمتمة:

- **من حسن حظي أنكَ موجود.**

بينما غادر نور الدين متجهًا إلى عمله، وهو يتمتم:

- **أعتقد أنكَ قد عشقتها حقًّا، ويا لكَ من أحمق، ستفتح على قلبكَ نيران الألم من جديد.**

ثم تنهد قائلًا:

- **فليكن، ففي جميع الأحوال أنتَ تعاني، ولقد اعتدتَ الألم، فربما يخيب ظنكَ وتكون هي سعادتكَ لم لا؟ ولكن عليَّ أن أعرف أولًا ما الذي تخفيه؟ ما الذى عانت منه في الماضي؟ ومن هذا الذي عذبها؟ وكيف؟ أسئلة كثيرة، ولكني سوف أجد إجاباتها كلها بنفسي، والآن يجب أن أخبر مدير المشروع بما حدث، ثم أعود لأنهي بقية أعمالي.**

بالفعل ذهب نور الدين إلى مدير المشروع؛ ليخبره بما حدث لناردين فطرق الباب واستاذن في الدخول ثم قال:

- **مرحبًا يا سيدي، أريد أن أخبركَ بأمر مهم.**

فانتبه المدير إليه وأجابه مبتسمًا:

- **مرحبًا بكَ يا بشمهندس، كيف حالك؟ وكيف حال العمل؟**

أجابه في امتنان:

- **الشكر لله، فالأمر على ما يرام، ولكن بالأمس أصيبت المهندسة ناردين زميلتي بالمشروع بالتهاب حاد بالزائدة الدودية، وأجريت لها عملية بالأمس في المستشفى العام، وهي الآن هناك.**

فنهض المدير من مجلسه على الفور ثم قال منزعجًا:

- **ولماذا لم تخبرنا بالأمس؟ وكيف حالها الآن؟**
- **لقد حاولت كثيرًا الاتصال بكم، وطلب المساعدة، ولكن الأحوال الجوية السيئة أعاقت الاتصالات بالأمس، لكني الحمد لله استطعت إنقاذها، وهي الآن بحالة جيدة، كما أنني لن أتركها بمفردها وسوف أرعاها حتى تسترد عافيتها بالكامل.**

فابتسم المدير ثم ربط على كتف نور الدين قائلًا:

- **أحسنت يا بشمهندس، فهكذا يكون الرجال.**
- **شكرًا لكَ سيدى، هل لي بسؤالك عن أمر ما؟**
- **تفضل، اسأل عما تريد.**
- **كيف أتت ناردين إلى هنا؟ أعلم أن هذا المكان للرجال فقط، أليس كذلك؟ فكيف سمحتم لفتاة باستلام مشروعها هنا؟**
- **معك حق فهذا المكان للرجال فقط، ولكن موضوع المهندسة ناردين خاص إلى حد ما، ويعتبر حالة استثنائية؛ فهي من طلبت نقلها إلى**

هنا، ولأن خالها مسؤول كبير بوزارة الزراعة؛ فقد توسط لها حتى تتم جميع الإجراءات، وهكذا تم الأمر.

- **عندما عارضت أنا هذا الأمر في البداية أخبرني خالها بأنها تمر بحالة نفسية صعبة للغاية، وأن هذا المكان النائي سوف يساعدها على تجاوز ما عانته.**

استمع نور الدين لحديث المدير في انتباه شديد ثم قال:

- **حسنًا، شكرا لكَ سيدى.**

وانصرف وهو يحدث نفسه قائلًا **"إذن؛ فهناك أسرار كثيرة في حياتكِ يا ناردين."**.

وربط بين ما سمعه منها في المستشفى وما أخبره به المدير، إذن الأمر يتعلق بأشياء خطيرة ومرعبة عاشتها تلك المسكينة، إذن، فهذا الألم الذي عاشته هو الذي جعلها تتصرف بهذا الشكل الذي عرفها عليه في بداية تعارفهما، إذن، فهي ليست تلك الفتاة المزعجة، المتعجرفة المدللة كما كان يظن، فهي مسكينة مجرد فتاة تخشى أن تتألم مرة أخرى، فقط هذا كل شيء، ثم عاد إلى الأرض فباشر الأعمال ونادى على أحد العمال قائلًا:

- **يا عارف.**
- **أمرك يا بشمهندس.**

- **ألا يوجد سوق هنا؟ أريد شراء بعض الأشياء.**
- **يوجد يا بشمهندس، في البلد يقام سوق يتبادل فيه أهل الواحة البضائع.**
- **جيد، إذن، خذني إليه.**

وذهب مع عارف إلى السوق؛ فلقد أراد أن يعد حساءً لناردين حتى تسترد عافيتها، اشترى الدجاجة وبعض الخضراوات والفاكهة الطازجة بما تبقى معه من مال، ثم عاد إلى السكن؛ فأعد حساء الدجاج، وأحضر حقيبة صغيرة ودخل إلى غرفة ناردين ليحضر لها بعض الأغراض كما طلبت، ففتح خزينة ملابسها وأخذ بعض الملابس ووضعها في الحقيبة، وأثناء جمعه لأغراضها من خزينة ملابسها سقطت علبة صغيرة كانت موجودة بالخزينة على الأرض؛ فتبعثرت محتوياتها هنا وهناك، حاول جمع محتوياتها من على الأرض، فوقعت بيده ورقة مطوية، وعندما فتحها كانت المفاجأة.

(الفصل العاشر)

"وتكتشفت الأسرار"

فتح نور الدين الورقة ليقرأها بعدما دفعه فضوله لمعرفة ما بها؛ فإذا بها وثيقة طلاق باسم ناردين، لم يصدق ما قرأته عيناه، أخذ يتفحص الوثيقة مرات ومرات وهو في صدمة. لم يكن يتوقع قط بأنها متزوجة، أو بمعنى أدق مطلقة.

ظل صامتًا جامدًا في مكانه، قابضًا بيديه على الوثيقة للحظات، ثم انتبه لنفسه فجمع الصور والأوراق وكل المحتويات المبعثرة، وطوى وثيقة الطلاق كما كانت، وضع كل شيء بمكانه، أخذ الحقيبة وخرج في صمت ثم حدث نفسه قائلًا **"مطلقة؟ إذن من عذبها هذا هو زوجها السابق، ترى ما الذي فعله بها حتى يصل الأمر إلى أن تدخل مستشفى الأمراض النفسية."**. ثم أخذ الحساء والفاكهة وغادر متجهًا إلى ناردين.

في المستشفى استيقظت ناردين وتناولت أدويتها ثم جلست في فراشها تنتظر نور الدين وهي تفكر بما حدث ليلة البارحة، تلك الليلة لم تفارق مخيلتها منذ أن خرجت من غرفة العمليات واستيقظت وهي تمر أمام عينيها ، في تلك

الليلة رأت في عينيه اهتمامًا وخوفًا وحنانًا لم تره في حياتها في عيون أحد من قبل، كما سمعت دقات قلبه وخفقانه كم كان قلقًا فزعًا خائفًا عليها! شعرت بأنفاسه وهي تختلط بأنفاسها، كم كان قريبًا منها كقرب روحها من جسدها! كل هذا لم تستطع أن تنساه. يمر أمام عينيها في كل لحظة؛ فجلست تحدث نفسها وقد علا صوتها دون إرادة منها قائلةً:

- **ماذا كنت سأفعل وحدي لولاكَ؟ من حسن الحظ أنكَ موجود معي.**

كان نور الدين على باب غرفتها يستعد للدخول؛ فسمع حوارها مع نفسها فابتسم، شعر بسعادة أخفاها بابتسامته، ثم دخل قائلًا:

- **كيف حالكِ الآن؟**
- **بخير، الحمد لله، وأنت، كيف حالك؟**
- **أنا بخير، انظري، لقد أحضرت لكِ ما تريدين، وأحضرت حساء الدجاج بالخضراوات الطازجة، فلقد صنعته بنفسي وأتمنى أن يعجبك.**
- **حقًّا؟ هل صنعت لي الحساء بنفسكَ؟ أعتقد أنه سيكون لذيذًا للغاية، حتى الآن لم أنس طبق المعكرونة؛ فأنت ماهر حقًّا في هذا المجال.**

تابعت وهي تمازحه:

- **كان الأفضل لكَ أن تعمل شيف بأحد المطاعم الفاخرة بدلًا من أعمال الزراعة تلك.**

فضحك نور الدين ثم قال:

- **حسنًا، كفاكِ سخرية، هيا تناولي بعض الحساء والدجاج، فأنتِ بحاجة إلى الطعام.**

نظرت إليه للحظة وهي مبتسمة ثم قالت:

- **مهلًا، مهلًا، هل تعطيني أوامر؟**

فعقد حاجبيه ثم قال مازحًا:

- **نعم، وإذا لزم الأمر فسوف أطعمك عنوة.**

فاعتدلت في جلستها ثم تأوهت متألمة:

- **آه.**

فانزعج وعلى الفورأسرع يساعدها على الاعتدال قائلًا:

- **رويدكِ، ما زال جرحكِ حديثًا.**

اتكأت عليه وهي تعتدل ناظرة في عمق عينيه اللتين امتلأتا بالخوف عليها، ظلت تنظر داخل عينيه الخضراوين الجميلتين للحظات، وكأنها تاهت في جنة خضراء جميلة لا تريد العودة منها، هو الآخر ظل ينظر داخل عينيها العسليتين الحزينتين المتألمتين؛ فأطلق نفسه لتضيع فيهما علَّه يستطيع أن يكتشف ما بداخلهما من أسرار، علَّه يعلم كيف أصبحتا تلك العينين

الساحرتين سجنًا للألم والدموع، وبعد لحظات، انتبهت ناردين لوضعها ذاك، فأبعدت عينيها عن عيني نور الدين ثم قالت:

- **حسنًا، سأتناول الحساء والدجاج، ولكن بشرط.**

وهنا تدارك نور الدين الموقف؛ فتمالك نفسه قائلًا:

-وما هو يا ترى؟

فابتسمت قائلة:

- **أن تتناول معي الحساء.**

فابتسم نور الدين ثم قال:

- **هل هذا هو شرطك؟ حسنًا، موافق، ثم جلسا يتناولان الحساء والدجاج.**

كانت لم تستطع أن تتناول بنفسها بسبب جرحها؛ فساعدها نور الدين، وأخذ يطعمها بيده وهو ينظر إليها محدثًا نفسه **"ترى ماذا حدث لكِ؟ ومن هو زوجكِ هذا؟ أقصد طليقكِ؟ وماذا فعل لكِ حتى جعلك تتركين الدنيا بأكملها وتفرين هاربة إلى هنا إلى مصير مجهول؟ أي ألم وأي عذاب ألحقه بكِ ذلك القذر؟ لو تخبريني بكل شيء ربما تزول تلك الحواجز التي تحول بيني وبينك.**

في المقابل كانت "ناردين" تأكل من يديه وهي ترمقه بنظرات عشق وامتنان شديد محدثة نفسها **"أين كنت يا نور الدين؟ لماذا لم أقابلك منذ البداية؟ ربما**

لو كنت قابلتك قبل الذي حدث لي في الماضي كنت أصبحت سعيدة في حياتى، ربما ما كنت عانيت ما عانيته. أشعر بأنك أنت الآخر قد عانيت الكثير، فهذا الإنسان الحنون الرائع الذي أراه أمامى الآن لا يمكن أن يكون هو ذلك الشخص الفظ الوقح الذي قابلته في بداية تعرفي إليك. أشعر بأن ألمًا ما هو الذي حولك إلى ذلك الشخص، لو تخبرني عن ماضيك، عما يؤلمك، عن سبب حالتك تلك، عن السبب الحقيقي الذي جعلك تترك أهلك وبلدك ودنياك وتفر هاربًا إلى هنا مثلي.".

وبعد لحظات من حوارات النفس هذه نظر كلٌ منهما إلى الآخر وفي نفس اللحظة قالا:

- **هل يمكن أن أسألكَ/ أسألكِ عن شيء ما؟**

ثم ضحك الاثنان ودهشا؛ لأنهما تحدثا في نفس اللحظة وبنفس السؤال، فصمتت ناردين وهي تضحك، ثم أشارت إلى نور الدين أن يتحدث هو أولًا، فابتسم ثم سألها مستفسرًا:

- **لماذا أتيتي إلى هنا؟ وأين هم أهلك؟ وكيف وافقوا على سفرك إلى هنا؟**

فابتسمت ابتسامة باهتة مكسورة تخفى وراءها ألمًا وحزنًا بدا جليًا في عينيها ثم قالت:

- **حسنًا، ساجيبك عن كل أسئلتك، ولكن بالمقابل، سوف تجيبني عن كل أسئلتي هل إافقنا؟**
- **حسنًا، اتفقنا .**
- **إذن، سوف أجيبك الآن، أما عن أهلي، فأنا ليس لي سوى والدي فقط، والدتي توفيت منذ أن كنت صغيرة، وأبي تزوج بأخرى، أنجبت له أخي فأصبح كل شيء في حياة والدي؛ فأهملني، لم أعد مفضلته كما كنت سابقًا، على أي حال، لذلك فأنا ليس لي أحد إذا صح التعبير، وكيف وافقوا؟ في البداية لم يكن أبي موافقًا قط على سفري، ولكن أمام إصراري خضع، وأعتقد أنه قد استحسن الفكرة واستراح من مشاكلي. لم يعد يهتم، منذ أن سافرت وأتيت إلى هنا، لم يحادثني سوى محادثة هاتفية واحدة، اطمأن بها أنني قد وصلت، ولم يعد يتصل بي فهو مشغول بغيرى. على أي حال، لست بحاجة إليه، ولا إلى غيره، أما سبب مجيئي إلى هنا؛ فهذا هو الشق الأصعب في سؤالك.**

ثم صمتت للحظات علم خلالها نور الدين بأنها تقصد طلاقها؛ فظل صامتًا هو الآخر يتابعها بنظراته، ثم تابعت حديثها:

- **أنا أتيت إلى هنا؛ لأني أردت أن أبتعد عن كل شيء يذكرني بالماضي، وبما حدث لي وبما عشته. أردت بداية حياة جديدة أؤسسها بنفسي ولنفسي.**

وهنا شعر نور الدين بأنها لا تريد الحديث عن زوجها ذاك؛ فهي لم تذكر حتى اللحظة أنها كانت متزوجة؛ فقرر هو أن يحثها على الحديث عن زواجها، فقال:

- ناردين، اليوم وأنا أحضر لك أغراضك، رغمًا عني أسقطت علبة كانت في خزينة ملابسك.

وقبل أن يتابع قاطعته في حزم:

- حسنًا، حسنًا، فهمت، لقد رأيت ما بداخل العلبة، أليس كذلك؟ رأيت وثيقة طلاقي وهذا ما أردت الحديث حوله أليس كذلك؟

فارتبك نور الدين، وشعر بأنها قد تألمت فقال:

- عفوا ، صدقيني، لم أكن أقصد؛ فلقد وقعت الوثيقة في يدي وأنا أجمع محتويات العلبة. سامحيني إذا سببت لكِ إزعاجًا، أعتذر.

ثم هب واقفًا واستعد ليغادر غرفتها؛ فلقد شعر بأنه قد ضغط على جرح آلام روحها كثيرًا، لكنها تمالكت نفسها، ثم أمسكت بيديه لتستوقفه قائلة:

- حسنًا، حسنًا، لا داعي للاعتذار، انتظر، فسوف أخبرك بأمر طلاقي.

شعر نور الدين بيدها وهي تتمسك بيديه بقوة وكأنها ترجوه أن يظل معها وألا يتركها، وكأنها بحاجة فعلًا إلى وجوده بجوارها؛ فأطبق على يديها بين كفيه مطمئنًا إياها ثم ابتسم قائلًا:

- **لا يهم، متى تكونين مستعدة للحديث ستجدينني أسمعك.**

فأجابته على الفور:

- **لا، سأخبرك الآن، لا أريد أن أخفي عنك شيئًا، كما أنك وعدتني بأنك سوف تخبرني عن كل ما أسأل عنه.**

فأجابها مازحًا:

- **إن شاء الله.**

فابتسمت قائلةً:

- **ماذا يعني هذا؟ ألن تخبرني؟**

فأجابها :

- **بالطبع سوف أخبرك بكل شيء عني، أعدك بذلك، فأنا أيضًا لا أريد أن أخفي عنك شيئًا.**
- **حسنًا نعود إلى طلاقي، عندما توفيت أمي، فقدت رغبتي بكل شيء في الحياة، وسارت حياتي مملة، حتى تخرجت، وبعد ولادة أخي لم يعد لي وجود في حياة أبي؛ فكل شيء أصبح لأخي، الاهتمام، والحب، استصعبت الحياة في**

بيت أبي كثيرًا؛ فلقد كنت وحيدة جدًّا، وكنت أريد أن أغادر هذا البيت بأى شكل كان، تقدم لخطبتي ابن أحد أصدقاء والدي، وافقت على الفور وتزوجت من جلال ولم أكن أعرفه قبل ذلك، تزوجته فقط لأترك بيت والدي، كان مناسبًا لي على جميع المستويات،كما أن مظهره كان لابأس به، ومنذ الليلة الأولى لزواجنا؛ وحتى انفصالى عنه بعد سنتين من المعاناة والعذاب لم يلمسني كزوجة، كان مريضًا نفسيًا، يستمتع بتعذيبي كل ليلة بضربي وإهانتي.

ثم صمتت، وأخذت تبكى بشدة؛ فهي كلما تذكرت تلك الأيام المرعبة تبكي، فاقترب منها نور الدين وضمها إليه، ثم قال:

- حسنًا يكفي، لا تبكي، فهذا القذر لم يكن إنسانًا قط، ومن الجيد أنك استطعتي التخلص منه.

فتابعت وهي تبكي:

- ما زلت حتى الآن أراه كابوسًا في نومي، أستيقظ كل ليلة مرعوبة مما أراه، لم أستطع التخلص منه حتى الآن، أراه وهو يضع السكين على عنقي كما كان يفعل معي. بعد سنتين من العذاب لم تعد أعصابي تتحمل؛ فانهرت ودخلت إلى المستشفى، هناك بعد فترة من علاجي أخبرت الطبيبة النفسية -التي كانت تتابع حالتي- والدي بالحقيقة ونصحته بضرورة انفصاله عني. بالفعل

والدي أجبره على تطليقي، ثم قرأت عن هذا المشروع فطلبت من خالي أن يرسلني إلى أبعد مكان، وها أنا هنا. هذه هي حكايتي فماذا عنك؟ ما هي حكايتك؟

تنهد نور الدين ثم عقب متأثرًا:

- لقد عانيتي الكثير يا ناردين،كم أنتِ إنسانة قوية لأنك تحملتِ كل هذا العذاب! لكن لا تخافي بعد الآن، لن يستطيع هذا القذر إيذاءك حتى في أحلامك، أما عن حكايتي فهي لا تختلف كثيرًا عن حكايتك، كنت أحبها جدًّا، خطيبتي وابنة خالي، لكنها تركتني من أجل المال؛ فخانتني، وباعت نفسها لمن يدفع أكثر. كنت أظنها غالية،لكنها في حقيقة الأمر كانت أرخص مما أظن. أنا أيضًا قرأت عن هذا المشروع؛ فتقدمت وقررت أن أبني مستقبلي، قررت أن أبني مزرعتي لأعيش فيها مع والدي ووالدتي وإخوتي، وكان التوزيع إلى هنا فأتيت. كنت أظن أن القدر قد أخذ مني حلمًا لطالما تمنيته، لكني لم أكن أعلم بأنه سوف يمنحنى واقعًا أروع مما كنت أحلم به.

ثم أمسك بيدها ونظر فى عينيها قائلًا:

- لقد منحني القدر إياكِ؛ فأنتِ واقعي الذي لم أكن أتخيل يومًا بأنني سوف أحلم به مجرد حلم. أنا أحبكِ يا ناردين.

(الفصل الحادي عشر)

"حكاية خطها القدر"

اندهشت ناردين حينما سمعت كلمة أحبك تنطلق من فم نور الدين كأنها رصاصة قد انطلقت بسرعة الضوء؛ فاخترقت قلبها في لمح البصر، وأردتها قتيلة هذا الحب، تجمدت في مكانها للحظات، وكأن كل جزء من جسدها قد شل، وكأن روحها قد غادرتها لا تدري إلى أين. ظلت صامتة للحظات لا تدري هي إن كانت كثيرة أم قليلة؛ فلقد انعدم لديها الزمن حينها، عندما رآها نور الدين على هذه الحالة أطلق رصاصته للمرة الثانية؛ ليؤكد اختراقها واستقرارها في عمق قلب ناردين قائلًا:

- **نعم، أنا أحبكِ يا ناردين.**
- فالتقطت أنفاسها وبصوت متلجلج قالت:

- تح... تحب... تحبني؟

فأجابها وهو يمسك بيديها مؤكدًا لها أن ما سمعته واقعًا:

- **نعم أحبكِ، ولكن أعتقد بأنني قد تسرعت فاعذريني، فلقد فرضت نفسي.**

عليك فردت على وجه السرعة قائلةً:

- **لا، لا، لا يا نور الدين.**

- **لم تتسرع ولم تفرض نفسك عليَّ، بل على العكس تمامًا؛ فأنا أيضًا...**

ثم صمتت في خجول، ونظرت إلى الأرض محاولة استجماع قوتها لتكمل جملتها؛ فقال فى إلحاح شديد:

- **ماذا؟ أنت ماذا؟ هيا أخبريني، بوحي بها ولا تخجلي، هيا أرجوك.**

فابتسمت، ثم نظرت إليه، وبصوت خجول منخفض ردت قائلةً:

- **أنا... أنا أيضًا أعتقد بأني أحبك؟**

فابتسم نور الدين في سعادة غامرة ثم قال مازحًا:

- **نعم؟ ماذا قلتِ؟ لم أسمع شيئًا، هل قلتِ انصرف؟**

ثم ضحك فضحكت وقالت:

- **كم أنت ماكر حقًّا! لا، لقد قلت ما سمعته أذناك منذ قليل، أنا أيضًا أحبك، هل تعلم يا نور الدين؟ لقد كنت أظن بأننى سوف أحيا ما تبقى لي من عمري وحيدة؛ فما عايشته في الماضي جعلني أكفر بالحب، وأغلق جميع أبواب قلبي؛ فكرهت معشر الرجال جميعهم، ظننت بأن قدري هو الوحدة والألم. لم أكن أتوقع قط بأن القدر سوف يكتب لي قصة ذات نهاية سعيدة، ولكن قد خاب ظني؛ فالقدر قد وهبني أجمل قصة سوف نكتب نهايتها معًا.**

- **معك حق يا ناردين، وأنا كذلك كنت أظن بأنني سوف أحقق حلمي لأعيش فيه وحيدًا، كنت أظن أنني لن أحب مرة أخرى، وأن قصة حياتي قصيرة، فقيرة لا يوجد في صفحاتها الكثير سوى الماضي وآلامه، ولكنى كنت مخطئًا؛ فقصة حياتي ما زالت صفحاتها بيضاء سنخطها معًا؛ فبعد أن انتزعت منها صفحات الماضي المؤلمة لن يبقى بها سوى صفحات حاضري ومستقبلي معك، سوف نحقق أحلامنا سويًا، سأكمل انا الناقص بكتاب حياتك وستملئين أنتِ الفراغات في قصة حياتي، وهكذا سنكتب أجمل قصة، وسنخط بأيدينا أجمل نهاية إن شاء الله، والآن عليكِ أن تتماثلي للشفاء بأقصى سرعة؛ لأن لكِ عندي مفاجأة.**

- حقًّا؟ مفاجأة؟ ما هي؟

- وهل إذا أخبرتك ستصبح مفاجأة؟ هيا بعد أن تتماثلي للشفاء سوف تعرفين.

بعد مرور أسبوعين تماثلت ناردين للشفاء وكان يوم خروجها من المستشفى؛ فأتى نور الدين ليصطحبها إلى السكن، وعندما غادرا المستشفى وجدت ناردين سيارتها تقف أمام المستشفى ففرحت كثير؛ فهي تحب سيارتها تلك وكأنها صديقتها، وليست مجرد سيارة؛ لذلك صممت أن تأخذها معها في

سفرها، وعندما تعطلت في الطريق والحكاية معروفة، طلبت من مدير الموقع أن يرسل أحدًا لاستخراجها وإصلاحها، لكنه أبلغها بأن إصلاحها سوف يستغرق الكثير من الوقت.

أثناء وجود ناردين بالمستشفى علم نور الدين بأمر السيارة؛ فتابع بنفسه أمر صيانتها حتى تم إصلاحها، أراد أن يفاجئها بها عند خروجها من المستشفى وقد كان، فلما رأت ناردين السيارة هللت في سعادة:

- سيارتي! أخيرًا أتيتِ، شكرًا لك حقًّا، إنها لمفاجأة جميلة.

- لكن هذه ليست هي مفاجأتي، فصبرًا، صبرًا، لم يحن موعد المفاجأة بعد.

- هيا بنا لنذهب إلى السكن، تستريحي بعض الوقت، ثم نرى ماذا سنفعل بعد ذلك؟

- كما أن مزرعتك وعمالك قد اشتاقوا إليكِ، ودائمًا يسألونني عنك.

فأجابته فى حماس:

- وانا أيضًا قد اشتقت إليهم كثيرًا، هيا بنا، ولكن أنت من سيقود السيارة من الآن وصاعدا ليكن بعلمك.

- كلا، هي سيارتك، فلتقودينها أنت.

فغضبت ثم قالت:

-أهكذا إذن؟ سيارتي؟ وهل سيوجد بيننا سيارتي وسيارتك؟ وأشياؤك وأشيائي؟ هل سيوجد بيننا أنا وأنت؟ حسنًا،إذا كنت ترغب بذلك.

ثم غادرت وهى غاضبة؛ فأمسكها من يدها ليستوقفها قائلًا:

- مهلًا، مهلًا، رويدك، توقفي، لمَ هذه العصبية؟ وما كل هذا الغضب؟

- حسنًا، لن يوجد بيننا أنا وأنت، سوف أقود السيارة، هيا اصعدي لنغادر.

ثم قال مازحًا وهو يصعد إلى السيارة ويحرك المقود ليذهبا:

- أظنك من مواليد برج الجدي، ألستِ كذلك؟

فضحكت ثم قالت:

- وما أدراك؟ أنا حقًّا من مواليد برج الجدي.

فضحك ثم قال:

- واضح، واضح.

فعقدت حاجبيها ثم قالت:

- وما هو الواضح هذا؟

فانفجر فى الضحك قائلًا:

- هذا هو الواضح، غضبك هذا، وعصبيتك تلك، وفوق كل هذا عنادكِ.

ضحكت ثم قالت:

- أهكذا؟ إذن، دعني أخمن من أي برج أنت؟

فابتسم ثم قال متحديًا إياها:

- أتحداكِ أن تعرفي.

فنظرت إليه رافعة أحد حاجبيها وبنظرة متحدية ردت قائلة:

- حسنًا، فلنجرب ونرى.

فابتسم وقد أبدى هو الآخر نظرة تحدٍ مصحوبة بابتسامة جميلة، وفي حركة ساخرة، رفع أحد حاجبيه مقلدًا إياها ثم قال:

- حسنًا، من أي برج أنا؟

وقبل أن تجيب قال:

- اها، ولكن بشرط، إذا أجبتي إجابة خاطئة؛ فسوف أطلب منك أمرًا، وسوف تنفيذينه دون مقاومة أو اعتراض.

فقالت في تحدٍ:

- حسنًا، وإذا أجبت إجابة صحيحة؛ فسوف أطلب أنا منك أمرًا وستنفذه بدون مقاومة أو اعتراض.

فضحك ثم أجابها قائلًا:

- حسنًا اتفقنا، هيا أجيبي من أي برج أنا؟

فنظرت إليه نظرة عميقة بعينيها العسليتين اللامعتين ثم قالت:

- مممممم.

- إذا نظرنا إلى أول لقاء بيننا، فلقد كان هناك شخص غريب الأطوار عندما تنظر إليه تشعر بأنك تعرفه منذ زمن بعيد، ولكن في الوقت ذاته تراه شخصًا فظًا وجامدًا.

فقاطعها متعجبًا:

- أهكذا ترينني؟

فابتسمت ثم قالت:

- انتظر، دعني أستجمع الصورة، ثم ترى نفس الشخص وقد أصبح شخصًا آخر في لحظات، حنونًا، ثم سرعان ما يعود إلى صورته الأولى، بمعنى أنك متقلبًا، تشبه البحر كثيرًا، هادئ ثم ثائر، عميق وسطحي، قريب وبعيد؛ إذن أنت برج مائي، لذلك أعتقد بأنك من مواليد برج السرطان، ألستَ كذلك؟

ثم أغمضت عينيها وهي تبتسم منتظرة رده في إشارة معناها أنها تخشى من إجابتها أن تكون خاطئة؛ فتضطر إلى إجابة طلبه، فإبتسم نور الدين ثم قال متسائلًا:

- هل أنتِ مهندسة زراعية؟ أم عالمة فلكية يا ترى؟

ففتحت عينيها في بطء وهى تبتسم فى دهشة، ثم قالت:

- إذن، فإجابتي صحيحة أليس كذلك؟

فأجابها وهو يمثل دور المهزوم في تأثر قائلًا:

- حسنًا، اطلبي ما تشائين مني.

ثم علق ضاحكًا:

- نعم إجابتك صحيحة.

ففرحت وصرخت مهللة:

- مرحى، مرحى، حسنًا، انتظر؛ فسوف أفكر في عقاب لكَ وسوف تنفذه دون اعتراض، ولكن انتظر حتى أفكر.

وأخذت تضحك. انتهى الطريق وقد وصلا إلى السكن؛ فوضع نور الدين حقيبتها في غرفتها قائلًا:

- **استريحي الآن، وفكري في عقابي حتى أعود مساءً، والآن عليَّ العودة إلى العمل؛ فهناك بعض الأعمال بانتظاري عليَّ إتمامها، هيا إلى اللقاء.**

فأجابته ناردين بنظرة تحمل كل معاني السعادة والحب:

- **إلى اللقاء.**

****

(الفصل الثاني عشر)

"المفاجأة"

غادر نور الدين إلى المزرعة ليتابع عمله وقد مر على وجودهما بالمزرعة ما يقرب من ستة أشهر، وبعد عمليات الاستصلاح بدأت الأرض في الاستجابة للزراعة بشكل سريع، خاصة أن أرض الواحات وبيئتها زراعية بالفطرة؛ فكان من السهل استصلاحها.

عندما ذهب نور الدين إلى أرضه؛ وجد مدير المشروع يتفقد الأرض التابعة لناردين والمجاورة لأرضه، عندما رآه لوح له بيده مرحبًا، ثم ألقى عليه التحية قائلًا:

- **مرحبًا بك يا سيدي.**

فابتسم المدير، ورد التحية قائلًا:

- **مرحبًا يا بشمهندس.**

ثم تابع فى إعجاب وثناء على عمل كل من نور الدين وناردين، وما لمسه من تطوروتقدم في الأرض قائلًا:

- حسنًا فعلتما يا بشمهندس،أرى أنكما بالفعل جادان جدًّا في تنفيذ مشروعيكما أنت والمهندسة ناردين. فى الواقع كنت أظنكما دون المسئولية،

وأنكما سوف تتركان الأمر بعد وقت قصير، خاصة أن ظروف الحياة هنا قاسية على أمثالكما، لكنكما في الحقيقة فاجأتماني بهذا الإصرار وبهذه العزيمة وبهذا الإنجاز الرائع؛ فحقًّا الأرض الآن أصبحت مهيئة للزراعة، فلقد قمتما بعمل رائع وسوف أخبر به القيادة العليا.

فابتسم نور الدين ثم رد فى حماس قائلًا:

- **شكرًا لك سيدي، وأشكر لك دعمك ومساندتك لنا، فأنا جد سعيد بما قلته سيادتك عني وعن ناردين. هذه أولى خطوات تحقيق حلمنا، وإن شاء الله نحقق الخير لنا ولبلدنا.**
- **حقًّا أنتما نموذجًا مشرفًا لشباب مصر، فليوفقكما الله.**
- **متى احتجتما إلى شيء، فأنت تعرف طريقي، تعال على الفور.**

ثم انصرف. وقف نور الدين يجوب الأرض بناظريه في سعادة غامرة وهو يتمتم:

- **هذه هي مفاجأتك يا ناردين، عندما تأتين إلى هنا وتشاهدين هذا الجمال. والله، إن الله لمعنا، لقد كنت أتصور أن هذه الأرض سوف تستغرق شهورًا طوال حتى تستجيب للزراعة، ولكن ما حدث هو معجزة في حد ذاتها وتوفيق من رب العالمين، فالشكر لك يا ربي.**

قضى يومه كالمعتاد بين الأرض وعماله الذين أحبوه هو ونارديـن، وفى المساء عاد إلى السكن؛ فوجد المكان مظلمًا، أصابه الفزع وأخذ ينادي بأعلى صوته قائلًا:

- **ناردين، ناردين.**

فلم تجبه، فتملكه الفزع أكثر وأكثر،أين هي يا ترى؟ هل أصابها مكروه؟ فأسرع يجري متلهفًا باحثًا عنها في كل مكان، فلم يصدر عنها صوتًا ولا حركة، حتى وصل إلى غرفة الطعام وعندما دخل فوجئ بنور الغرفة وقد أضيء فجأة، نظر فوجد المائدة معدة وعليها أطباق طعام وشموع، انتهي بصره إلى رأس المائدة فوجد ناردين جالسة تنتظره على العشاء بابتسامة ساحرة ثم قالت:

- **مفاجأة!**

فسحب نور الدين المقعد وخر جالسًا، ونبضات قلبه تتسارع من شدة الفزع وهو صامت ثم بغضب قال:

- ما هذا؟ هل تريدين قتلي؟ كدت أموت رعبا الآن، سامحك الله يا ناردين.

فضحكت وتعالت ضحكاتها التي لم تستطع أن تتحكم فيها قائلةً:

- هل حقًّا ارتعبت من الظلام؟ هل أنت ممن يخافون الظلام يا نور الدين؟

وهي تضحك، فنظر إليها بنظرات غاضبة لفترة وهو عاقدًا لحاجبيه، ثم أمام ضحكاتها الجميلة تلك، فهي تضحك بشكل جميل للغاية ابتسم قائلًا:

- نعم، لقد ارتعبت، ولكن ليس من الظلام، لقد ارتعبت من أن يصيبك مكروه؛ فعندما ناديت عليك ولم أسمع صوتك مت من الرعب.

قطعت ناردين ضحكاتها واستبدلتها بابتسامة امتنان وحب قائلةً:

- **حقًّا يا نور الدين خِفتُ عليَّ؟ ارتعبت من أجلي؟**

فأجابها مازحًا:

- **لا خِفتُ من الظلام.**

ثم ابتسم قائلًا:

- لا يهم، المهم هو أن تضحكي بهذا الشكل؛ فوجهك الجميل هذا تليق به الضحكات.

- **أنت، أنت سبب ضحكاتي وسعادتي؛ فقبلك لم أعرف معنى للضحك ولا السعادة. هاتان المفردتان لم تكونا ضمن قاموس حياتي من قبل، لولاكَ لما وجدت نفسي التائهة، لولاكَ لما عاد قلبي لينبض، لولاكَ لما عدت للحياة من جديد.**

فابتسم هو الآخر وفي حب رد قائلًا:

- **بل، لولاكِ أنتِ لما تحررت من أسر الماضي، لولاكِ أنتِ لما عادت إلى روحي، لولاكِ أنتِ لبقيت ذلك الشخص الفظ غليظ القلب.**

فنظرت إليه ناردين في حنان وحب ثم غيرت الموضوع قائلة:

- **اها، تفضل، الآن وقد برد الطعام وسوف تتهمني بأنني لا أجيد إعداده.**

فضحك قائلًا:

- يا حبيبتي، هذا ليس اتهامًا على الإطلاق، بل هي الحقيقةً.

فنظرت إليه فى غضب مصطنع ثم علقت:

- **هكذا إذن؟ يا سيدي، لا يجب عليك الحكم على شيء قبل تجربته. هيا تفضل تذوقه أولًا ثم أحكم كما يحلو لك.**

فضحك نور الدين قائلًا:

- حسنًا، سوف أتذوقه، لكن جهزي السيارة؛ لتسرعي في إسعافي أم أنك ستتركينني أموت؟

ثم تابع ضحكاته؛ فضحكت هي الأخرى قائلة:

- **لا تحمل همًا؛ فأنا سوف أنقذك، هيا.**

وجلسا يتناولان الطعام فقال:

- **اليوم مر مدير المشروع على الأرض وتفقدها.**
- **حقًّا؟ وماذا قال؟ فالأرض ما زال أمامها أشهر حتى تستجيب للزراعة كما أظن.**

فابتسم نور الدين قائلًا:

- **كما تظنين؟ ولكن...**

ثم صمت وهو يتابع تناول طعامه، فتحمست قائلةً:

- **ولكن ماذا؟ ماذا؟**

فرفع إليها نظره قائلًا:

- **ولكن رأي مدير المشروع كان مختلفًا.**

وهنا ازدادت حيرتها ودهشتها، فقالت:

- **ما هذه الألغاز التي تتحدث بها؟ أرجوك أخبرني بشكل جيد.**
- **ألم أحدثكِ عن مفاجأة؟**

فأجابته في حماس:

– نعم، نعم، ما هي؟

– هل حقًّا تودين معرفتها؟

فأجابته فى ضجر:

- أوف يا نور الدين! كم أنت سخيف، لا أريد أن أعرف.

فضحك قائلًا:

- لينتظر برج الجدي هذا قليلًا، فالمفاجأة هي أن أرضك أصبحت صالحة للزراعة.

فقفزت على الفور قائلةً فى سعادة:

- حقًّا؟ حقًّا؟ كيف ذلك؟ فالأرض ما زال أمامها أشهر.

- ولكن هذا ما حدث، فلقد حدثت معجزة من الله، والأرض بالفعل استجابت للزراعة على غير المتوقع، وغدًا إن شاء الله سوف آخذك لتشاهدين بنفسك، وتتابعين عملك.

فرحت ناردين لسماعها تلك الأخبار السعيدة، فعانقت نور الدين وهي لا تصدق ما حدث هامسة في أذنيه:

- من حسن حظي أنك موجود بحياتي، كم أنا سعيدة الآن؟

فرد وهو يحكم ذراعيه حولها؛ ليضمها في حب واحتواء شعرت بهما على الفور هامسًا:

- بل من حسن حظي أنا أنني عرفتك؛ فهذه أولى خطوات تحقيق أحلامنا التي سنحققها معًا.

(الفصل الثالث عشر)
"رحلة فى الواحات"

بعد مرور ستة أشهر أخرى على وجود ناردين ونور الدين بالواحات، تمت خلالها زراعة أرض ناردين بأندر أنواع الزهور والنباتات الطبية والعطرية، كما تمت زراعة أرض نور الدين بأجود أنواع الزيتون وبعض أنواع الفاكهة.

وفى خلال تلك الأشهر، كانت ناردين قد تعرفت إلى الشيخ حامد، ذلك الشيخ الذى يقطن على بعد أمتار قليلة من سكنهما، أصبح كلاهما بمكانة أبناء له، فلقد توطدت علاقتهما به، اعتبراه والدًا لهما، كانا يمضيان معظم أوقاتهما بصحبته في داره، يستمتعان بحديثه عن حكاياته وحكايات البشر التي كان يرويها لهما.

فى خلال هذه الفترة، لم يكن لناردين أحد يسأل عنها سوى خالها،الذي كان يتابعها ويعرف أخبارها من مدير المشروع، أما والدها فكان لا يهتم، يمرعليها ما يقرب من الشهر أو الشهرين إذا سأل عنها بمكالمة هاتفية سريعة، ثم سرعان ما ينسى وجودها ويعود لزوجته وولده؛ اللذين يستحوذان على كل وقته وتفكيره.

أما أسرة نور الدين فكانوا جميعهم الأم والأب والأخوة دائمين السؤال عنه عبر الهاتف، وكان نور الدين يحدث ناردين دائمًا عن أمه وحنانها، وأبيه ورجولته وأخوته، فكانت تحسده على تلك الأسرة الدافئة التي لطالما تمنت وجودها فى أسرة مثلها، كان نور الدين يخفف عنها ذلك الشعور بتعويضها بأنها بالفعل أصبحت من أسرته؛ فلقد عرفها إلى أبيه وأمه وأخوته عبر الهاتف، كانوا جميعًا يحدثونها ويسألون عن أخبارها، تمامًا كما يفعلون مع نور الدين كانت سعيدة جدًّا بهذه الأسرة التي احتوتها على الفور دون أن تراها؛ فأحبتهم وأحبوها.

فى أحد الأيام أتى نور الدين وطرق باب ناردين ومن خلف الباب صاح:

- **أيتها الكسولة النائمة، هيا استيقظي، استعدي فسوف نخرج الآن.**

أجابته في تثاؤب وهي نائمة:

- **ماذا؟ الآن؟ أين سنذهب؟ أوه، أريد أن أنام يا نور الدين، هيا اذهب الآن نخرج غدًا، هيا دعنى الآن وكف عن إزعاجي.**

فقاطعها من خلف الباب بصوت حازم وجاد قائلًا:

- **إن لم تستيقظي الآن، فسوف أدخل وأوقظك أنا بطريقتي.**

ثم تابع ضاحكًا:

- **وأنتِ تعلمين ما هي طريقتي، أليس كذلك؟**

فنهضت على الفور وفي ارتباك أجابته:

- **كلا، انتظر، انتظر، سوف أنهض وحدي.**

ثم ضحكت قائلة:

- **يا لك من ماكر حقًّا، هيا، اذهب أنت وأنا سوف أستعد الآن، لكن إلى أين سنذهب الآن؟ فالساعة قاربت على الثامنة مساءً.**
- **أوليس عيبًا أن تخافي وأنت بصحبتي؟**

فأجابته وهى تطل برأسها من خلف الباب وتدفع وجهه بعيدًا بيدها في حركة مازحة قائلة:

- **بل كل الخوف أننى بصحبتك.**

فأمسك بيدها بحركة مفاجئة، وهو يبتسم وينظر فى عينيها بنظرات عميقة قائلًا:

- **إذن فأنتِ تخافين مني؟ ومن وجودك معي؟**

فردت وهى تسحب يدها من يده في حركة مفاجئة مماثلة وبنفس النظرة وتعلو شفتيها ابتسامة ساحرة قائلةً:

- **الأصح أنني أخاف من نفسي عندما تكون قريبة منك، فهي تعصاني، تتمرد فتقوى بكَ عليَّ، تنفلت مني فلا أستيطع السيطرة عليها.**

ثم أطالت إليه النظرات؛ فتجمد هو مكانه وعلت شفتاه ابتسامة زادته وسامة، في حين أن بريق عينيه قد ازداد فزادهما جمالًا فوق جمالهما، وعلى حين غفلة أغلقت ناردين الباب قائلةً:

- **هيا، لا تعطلنى، فسوف أستعد لنرى إلى أين ستأخذنى؟**

مع العلم أننى أذهب معك إلى آخر الدنيا وأنا معصوبة العينين؛ فرد بعد لحظات من صمته، وبصوت خافت قائلًا:

- **وأنا أذهب معك إلى خارج الكرة الأرضية، إلى عالم الخيال، إلى دنيا الهوى، إلى مالانهاية.**

سمعته من خلف الباب فابتسمت وهي تنظر إلى المرأة قائلةً:

- **يا ربي، هل ما أعيشه هذا واقعًا؟ أم إنه خيال؟ حلم؟ يا ربي، إن كان واقعًا فلا يتغير، وإن كان خيالًا، أو حلمًا فلا توقظني منه أبدًا.**

ثم ارتدت ملابسها واستعدت للخروج، وكان نور الدين بانتظارها أمام الباب، فخرجت قائلةً:

- **ها أنا قد استعددت، فإلى أين ستأخذنى؟**

وهو يفتح لها باب السيارة مازحًا:

- تفضلي يا سيدتي، فسوف أصطحبك في رحلة إلى الواحات؛ فسألته وهي تركب السيارة في سعادة قائلةً:

- حقًّا؟ حسنًا، حسنًا، وأنا أريد هذه الرحلة؛ فسوف تكون رحلة ممتعة، وخاصة أنها برفقتك.

فابتسم نور الدين ثم قال:

-حسنًا هيا بنا ننطلق فسوف نمضي الليلة وغدًا كله بالخارج فليكن بعلمك، فهذه أول مرة نخرج فيها خارج المزرعة منذ أن أتينا فلنستمتع الليلة وغدًا؛ فلقد أعددت لك برنامجًا سياحيًا سوف يبهرك. انظري إلى الخلف فلقد أعددت كل لوازم الرحلة من أطعمة ومشروبات وكل شيء جاهز، لا تقلقي ستكون رحلة ممتعة إن شاء الله.

فنظرت ناردين في فرح ثم قالت:

- **أنت رائع حقًّا يا نور الدين فكل خطوة معك بفرحة وكل يوم معك بسعادة. أين كنت منذ زمن؟**

فأمسك بيدها في حنان، ثم طبع قبلة على كفها في رقة ثم قال:

- **لا يهم أين كنت؟ المهم الآن أين أنا؟**

ثم ابتسم وانطلق بالسيارة لتبدأ الرحلة.

في الطريق أدارت مسجل السيارة على أغنيات "فيروز" التي تعشقها وهي تغني معها، وتنظر إليه لتهديه كلمات الأغنية، وكانت الأغنية (سألتك حبيبى لوين رايحين) وأخذت تغني معها ونور الدين ينظر إليها في سعادة.

بعد فترة من الزمن، توقف أمام مكان يبدو أنه مجمع لمساكن قديمة أثرية، خالٍ من السكان وبه مسجد ومئذنة عالية، المكان رائع، عبارة عن مكان واسع به سلم يؤدى إلى القمة، وبالقمة توجد بيوت صغيرة مبنية من الطين، والسقف من الجريد، مكان بدوي بدائي أثري، لكن لا يسكنه أحد. هبط نور الدين من السيارة ثم قال:

- **تعالي، لا تخافي؛ فرحلتنا سوف تبدأ من هنا ما رأيكِ؟**
- **سوف نبيت ليلتنا هنا، وفي الصباح الباكر نتابع رحلتنا.**

نزلت ناردين وهي مذهولة من روعة المكان وجماله، لكنها لم تستطع إخفاء خوفها الذي بدا جليًا من كون المكان مهجورًا؛ فنظرت إلى نور الدين في خوف قائلة:

- **ماذا؟ هل سنبيت هنا؟ كلا؛ فأنا أخاف جدًّا من هذا المكان؛ ربما يكون مسكونًا من الجن يا نور الدين، لا، لايمكن.**

فضحك ثم قال:

- **المهندسة المتعلمة تؤمن بهذه الخرافات!**

فقالت بصوت مرتجف:

- **نور الدين، أنا أتحدث بمنتهى الجدية، لست بمازحة الآن، أرجوكَ هيا نذهب من هنا.**

فأمسك نور الدين بيديها مطمئنًا إياها ثم قال:

- **تعالي، لا تخافي، هل تعلمين ما هذا المكان؟**

فأجابته في توتر:

- **لا**

فأجابها:

- **هذا المكان يسمي جبل الدكرور، وأهل الواحة كل شهر في الثلاثة أيام القمرية يأتون إلى هنا؛ فتجتمع جميع القبائل فيما يسمي بعيد التصالح، وهو مخصص لإزالة الخلافات بينهم؛ لذلك لا تخافي؛ فهذا المكان ليس مهجورًا.**

فسألته في اهتمام قائلةً:

- **و من أين علمت هذه المعلومات يا نور الدين؟**
- **من القراءة، فأنا عاشق للقراءة، ولقد قرأت عن كل شيء يخص الواحات قبل مجيئي إليها؛ لذلك فسوف أكون أنا مرشدكِ السياحي هنا يا سيدتي.**
- **هيا لنصعد إلى أعلى؛ فالمكان بالأعلى أشد روعة وجمالًا.**

أحضر معه بعض الأمتعة والأطعمة، وأغلق السيارة، وصعدا إلى أعلى الجبل حيث البيوت البدائية بالقمة. كانا كلما صعدا درجة ازداد انبهارهما وتعجبهما،

كيف للطبيعة أن تكون بهذا السحر وهذا الجمال الخلاب! حتى صعدا إلى الأعلى، وبالأعلى كان المكان أروع وأجمل بالفعل من رؤيته من الأسفل؛ فذهلت ناردين من روعة الطبيعة، ثم علقت قائلة:

- **ما هذه الروعة؟ هذا خيال، هل يعقل أن يكون على أرضنا مثل هذا الجمال والسحر ولا يعلم به أحد.**

فأجابها نور الدين مصدقًا على كلامها قائلًا:

- **للأسف، فبلدنا حباها الله بالكثير من السحروالجمال والنعم، لكن لا أحد يستغلها حق استغلالها.**

ثم فرش على الأرض بساطًا، وجلس هو وناردين وقد أعد العشاء والشراب، جلسا يتناولان عشاءهما تحت ضوء القمر فوق قمة الجبل، منظرفي منتهى السحر والرومانسية مما دفع ناردين إلى أن تتكئ برأسها على كتف نور الدين وهى تحتضن إحدى يديه بكلتا يديها، وقد اتجهت بنظرها تلقاء القمر،فتبسمت قائلة:

- **لا أصدق ما أعيشه أشعر وكأنني أحيا داخل قصة رومانسية من العصور الوسطى وأنا بطلتها.**
- **لم أكن أحلم يومًا بأنني سوف أعيش لحظة واحدة فقط من هذه اللحظات.**

عانقها نور الدين في حنان وقد احتواها بين ذراعيه ثم تبسم هامسًا:

- **وإني لمثلكِ تمامًا، لم أكن أتخيل بأنني سوف أرى هذه الأيام وأعيش هذه السعادة، لكني أعدك بأنني سوف أصنع من كل يوم، بل من كل لحظة فرح وسعادة وحب؛ فأنت تستحقين ذلك.**

فابتسمت ثم أطبقت على يده بيديها وتنهدت قائلة:

- **أعلم ذلك، أعلم ذلك.**

وهنا وعلى حين غفلة صاح نور الدين متحمسًا:

- **لحظة، لحظة، لماذا لا نتزوج يا ناردين؟ لماذا ننتظر؟ وماذا ننتظر؟**

فالتفتت إليه التفاتة لا شعورية، وقد بدا على وجهها الارتباك والشحوب ثم ردت فى تعجب:

- **نتزوج؟! مهلًا يا نور الدين.**

وقد ازدادت توترًا وكأنها تذكرت يوم زواجها الأول، وما عاشته من ألم، فصمتت للحظات، ثم تابعت:

- **لمَ العجلة؟ فنحن بحاجة إلى بعض الوقت، على الأقل حتى نستقر أولًا، ثم أنه لا بد أن ننتظر حتى نحصد أول محصول لنا، كما أنه لا بد وأن نقوم ببناء منزلنا، ولا بد من...**

فقاطعها نور الدين وقد شعر بخوفها من مسألة الزواج، وفهم ما دار بعقلها، قرأ في وجهها ما دار في نفسها وما تذكرته؛ فأراد أن يخفف عنها ويطمئنها قائلًا:

- **حسنًا، حسنًا ، فلننتظر، لا يهم، المهم أننا معًا، أليس كذلك؟**
- **لتأخذي وقتكِ بكل راحة؛ حتى تكوني مستعدة للزواج بي، لا توجد مشكلة على الإطلاق، فلننتظر.**

ثم ضمها إليه برفق وحنان حتى يطمئنها؛ فعانقته هي الأخرى بشدة وقد شعرت بأنه قد فهمها دون أن تتحدث فهمست اليه قائلة:

- **ما أجملك من إنسان!**

فرد في تلعثم:

- **هيا، هيا لننام الآن؛ فغدًا سوف يكون يومًا مشحونًا بالمغامرات.**

نام الاثنان، كل منهما في فراش على الأرض بجوار بعضهما بعضًاحتى حل ضوء الصباح معلنًا ميلاد يوم مشمس ورائع. استيقظت ناردين بعد أن داعبت وجهها خيوط الشمس الذهبية، فجلست تنظر إلى نور الدين وكان لا يزال نائمًا، تفقدت ملامحه؛ فإذا به وكأنه ملاكًا نائمًا في منتهى الهدوء والوسامة، كأنه طفل صغير بريء الملامح، ظلت على تلك الحالة المتأملة

طويلًا، أخذت تداعب بأناملها وجهه برقة ونعومة محاولة إيقاظه، ثم همست بالقرب من أذنيه قائلة:

- **صباح الخير أميري الوسيم، هيا استيقظ، لقد حل الصباح، هيا أيها الكسول الجميل.**

شعر "نور الدين" بأناملها الرقيقة التي تتراقص على وجهه في خفة ونعومة، ففتح عيناه ببطء، وما أجملها من عينين زرقاوين صافيتين تعكسان لون السماء! ثم نظر إليها بنظرة عشق جلية وأمسك بيديها فقبلهما وهو يجيبها:

- **صباح الخير أميرتي وملاكي.**

ابتسمت في خجول ثم سحبت يديها في سرعة قائلةً:

- **هيا أيها الكسول؛ فأمامنا يومًا طويلًا من المغامرات كما وعدتني.**

فابتسم وهو ينهض قائلًا:

- **حسنًا، أمركِ يا مولاتي، هيا لنذهب.**

فجمع أشياءهما وهبطا إلى السيارة، وانطلقا إلى مغامراتهما.

(الفصل الرابع عشر)
"جنة الله على الأرض"

في صباح اليوم التالي، وقد أشرقت شمس الواحات على كل جزء من أرضها، فأبرزت جماله وإبداع يد الخالق عز وجل، سار كل من ناردين ونور الدين في طريقهما إلى جولتهما وهما في شدة الانبهار بكل هذا الجمال والإبداع الذي يشاهدانه بكل شبر على أرض الواحات الخلابة. توقف نور الدين بالسيارة أمام أثر تاريخي يبدو من معالمه أنه معبد ثم قال:

- **هيا يا ناردين، انزلي من السيارة؛ ستبدأ جولتنا من هنا.**

فنزلت وهي في منتهى التعجب، وبنبرة صوت مندهشة قالت:

- **ما هذا؟ أخيال هذا الذي أراه؟**

فرد مبتسمًا وهو يمسك بيديها ليصطحبها إلى داخل المعبد؛ حتى تشاهده من الداخل قائلًا:

- لا يا حبيبتى، فما تراه عيناك الجميلتان، هو واقع؛ فهذا الإبداع والجمال واقع موجود هنا في معبد آمون.

سارت معه ويدها تتوارى في حضن يديه، وخطواتها تتسابق متلهفة لرؤية ما بالداخل، ثم ردت قائلة:

- **رائع! هل قلت معبد آمون؟! هل هذا المعبد هو معبد الإله آمون إله الفراعنة؟**

فرد نور الدين مازحًا:

- **أهذا كل ما تعرفينه عن الإله آمون؟ إنه إله الفراعنة فقط يا ناردين؟**
- **أتساءل، كيف كانت درجاتك في مادة التاريخ يا ترى؟**

ثم علت ضحكاته؛ فضحكت ثم ردت هي الأخرى مازحةً:

- **الشكر لله، لقد كنت أنجح في مادة التاريخ ولا أنشغل بالدرجات، فأنا لست بمستوى عبقريتك بالتأكيد سيادة المؤرخ العلامة.**

فضحك قائلًا :

- **حسنًا، إذن دعي العلامة يعرفك هذا الأثر العظيم.**

ثم تابع مازحًا:

- **فكما ترين يا سيدتي، هذا هو معبد الإله آمون ويسمى أيضًا بمعبد الوحي والتكهنات.**

ثم أشار بيده إلى جدار المعبد من الداخل على اليسار قائلًا:

- **هنا كان يتكهن الكهنة بما سيحدث من خلال قراءاتهم للفلك والروحانيات وما إلى ذلك من العلوم التي برع فيها القدماء. هذا المعبد هو أول مكان شهد على موت أول شهيد لكلمة الحق في التاريخ.**

فاندهشت ناردين ثم عقبت:

- **حقًّا؟ لم أكن أعلم هذه المعلومة من قبل، هيا احكي لي حكاية هذا الشهيد فورًا هيا هيا...**

فقاطعها ضاحكًا:

-والله لو تركتيني للحظات دون أن تلاحقيني بكلماتك لكنت أنهيت قصته الآن.

فتصنعت الغضب قائلةً:

- كم أنت سخيف يا نور الدين؟ حسنًا، لا أريد معرفة شيئًا.

ثم أشاحت بوجهها عنه إلى الاتجاه المقابل، وفور وقوع نظرها على الجدار المقابل شاهدت نقوش فرعونية كأنها كتابات، فتساءلت في تعجب:

- ترى ما معنى هذه الكلمات يا نور الدين؟!

وهنا لم يستطع أن يتمالك نفسه من شدة الضحك، ثم استجمع نفسه قائلًا:

- **عجبًا لكِ يا ناردين! منذ ثانية واحدة خاصمتيني، ولم ترغبي في معرفة شيئًا مني، والآن تسألينني.**

فضحكت قائلةً:

- **كفاك سخرية، هيا أخبرني بكل ما تعرفه عن هذا المعبد الآن، وإلا لن أتركك تغادر.**

فرد وهو يمزح قائلًا:

- **لا بأس، سأخبركِ والآن قصة هذا المعبد وهذا الشهيد كالآتى "في هذا المعبد حدثت أول عملية نفاق للسلطة في التاريخ، كما حدثت أول عملية نضال ضد السلطة وتزييف الحقائق، ففي عهد الإسكندر الأكبر عندما توسعت إمبراطوريته أتى إلى هذا المعبد، وكان قد سمع عنه أنه معبد التنبؤات فأراد أن يختبر الكهنة؛ ليعرف هل هم صادقون؟ أم أنهم كاذبون.".**

ناردين تستمع في انتباه وهي مستمتعة؛ فأشارت إليه بعينيها أن تابع، فتابع:

- فأتى وأحضر الكهنة ثم قال لهم "أنبؤوني من الذي قتل أبي فيليب؟". فصمت الكهنة لأنهم لا يعلمون؛ فهم حقًّا كاذبون، دجالون، منجمون، أخذ بعضهم ينظر إلى الآخر في توتر وخوف وصمت، فأعاد عليهم الإسكندر سؤاله في حزم قائلًا "ها، هيا انبؤونى؟ من الذي قتل أبي؟". فرد كبير الكهنة في تلعثم وارتباك قائلًا "سيدي، لم يقتل أحد أباكَ"، فتعجب الإسكندر وعقب غاضبًا "كيف ذلك؟ لقد قتل أبي؟ فكيف أنه لم يقتله أحد؟ اتسخرون مني؟" فأجابه كبير الكهنة على الفور متلجلجًا "مهلًا يا سيدي؛ فأبوكَ لم يمت لأنك ابن الإله آمون " والإله آمون خالد، فأنت نصف إله، كما أنك سوف تحكم العالم، ولكن لفترة قصيرة، وهذه النبوءة قد تحققت بالفعل.". راقت هذه الكلمات الإسكندر كثيرًا؛ فجعلته يشعر بالعظمة

والفخر أن يكون هو نصف إله، وأن يكون ابن الإله آمون إله الفراعنة فصدق قولهم، وعاش على هذه الخدعة؛ فتعامل مع قادة العالم على أنه نصف إله؛ لذلك، يعتقد المؤرخون بأن الإسكندر مدفون هنا بجوار المعبد؛ فعندما مات ذهب جثمانه إلى مقدونيا، لكن بطليموس وهو أحد قادة جيش الإسكندر عندما أخذ مصر مرة أخرى أحضر جثمانه وقال "إنه قد كتب في وصيته أن يدفن بجوار أبيه الإله آمون.". وانتشر الخبر هنا حول المعبد، وفي جميع أنحاء البلاد بأن الإسكندر هو ابن الإله آمون، وكان من بين عامة الشعب، شاب يدعى حابي فلما سمع ما قاله الكهنة عن الإسكندر بأنه ابن الإله آمون ثار، كان يعرف بأن الإسكندر مقدوني وليس مصريًا؛ فكيف يكون هو ابن الإله آمون؟ أخذ يجول أرجاء المدينة وهو يصرخ بأن الكهنة كاذبون، وبأن الإسكندر ليس إلهًا ولا نصف إله، وبأنه ليس ابن الإله آمون. بالفعل، فلقد صدق الشاب واقتنع بكلامه عدد كبير من المواطنين حتى وصل الخبر إلى الإسكندر؛ فأمر بإحضار الشاب إليه هنا في هذا المعبد. أحضر الحراس الشاب وأوقفوه أمام الإسكندر الذي قال "ألا تخافني أنا الإسكندر بن الإله آمون؟ كيف تجرؤ على حديثك هذا الذي تدور به بين الناس؟". وقف الشاب بكل ثبات وقوة وشجاعة وهو يعرف بأنه سوف يعدم بعد لحظات، فلم يخف، ولم يتراجع، وبكل شجاعة قال "أنت لست إلهًا كما أنك

لست ابن الإله آمون، لست مصريًا، فأنت مستعمر مقدوني، ابن رجل مقدوني لا علاقة لك بمصر ولا بأهلها ولا بآلهتها، فاذهب من حيث أتيت.". **وأمام حجة الشاب القوية لم يجرؤ الإسكندر على المجادلة؛ فهزم أمام منطق حابي ثم أمر بإعدامه؛ فذبح على الفور، فكان هو أول شهيد في التاريخ للحفاظ على أرض هذا الوطن وهويته في هذا المعبد.**

بعد أن أنهى نور الدين الحكاية ظلت ناردين تصفق له وهي تمطره بنظرات الإعجاب والفخر ثم قالت:

- كم أنت رائعًا يا نور الدين! فالحكاية في منتهى الروعة.

ابتسم ثم رد قائلًا:

- لا يزال بجعبتي الكثير؛ لقد أقسمت على أن أسعدك في هذه الرحلة. هيا يا جميلتي لنرى ماذا سوف نشاهد بعد ذلك؟ وإلى أين سوف نذهب؟

استقلا سيارتهما وانطلقا، وفي الطريق لمحت ناردين بحيرة من على بعد يحدوها جبال بيضاء فصاحت متعجبة:

- نور الدين، انظر، انظر، جبال بيضاء، أرأيت ذلك؟

فرد مندهشًا:

- سبحان الله العظيم، ما هذا الجمال الخلاب؟ تعالي نقترب لنرى يا ناردين.

بالفعل اقتربا من البحيرة فهبطا من سيارتهما وهما في قمة الدهشة، فما رأته عيناهما حقيقة وليس خيالًا؛ فهذه حقًّا جبال بيضاء لأنها جبال من الملح، وهذه البحيرة هي البحيرة المالحة التى يستخرج منها هذه الكميات الهائلة من الملح الخام؛ فلقد علم كلاهما هذه المعلومة من أحد سكان الواحة الذي يعمل في استخراج الملح. عندما شاهدهما الرجل ظن أنهما سائحان؛ فقدم نفسه لهما قائلًا:

- **مرحبًا، أنا عبدون، أعمل هنا وأنتما من؟ أعتقد أنكما زوجان حديثا الزواج، وتمضيان إجازة الزواج، هنا أليس كذلك؟**

وفور سماع ناردين هذه الكلمات تورد وجهها خجلًا، أما نور الدين فقد برقت عيناه ثم ابتسم في سعادة قائلًا:

- **مرحبًا، نحن مهندسان نعمل هنا في مشروع الاستصلاح على أطراف الواحة.**

ثم مد يده ليصافح عبدون مرحبًا ثم اعتذر قائلًا:

- **عفوًا، لقد ظننتكما زوجين.**
- **لا عليك، المهم، أخبرنا بأمر هذه الجبال وهذه البحيرة.**

فأخبرهما بأنها جبال الملح التي تستخرج من البحيرة المالحة، ثم أعطاهما كتيبًا إرشاديًا عن أهم معالم الواحة السياحية مودعًا إياهم.

في السيارة جلست ناردين تتفقد الكتيب وهي تنظر إلى الصور باهتمام، وتقرأ الملخص المكتوب تحت كل صورة في سعادة وتعجب، ثم نظرت إلى نور الدين وهي غير مصدقة للواقع الذي تراه وتقرأ عنه بأم عينيها، ثم في تعجب قالت:

- **ما هذا يا نور الدين؟ أين نحن؟ لم أكن أتخيل بأن الله سوف يدخلني جنته وأنا ما زلت على قيد الحياة، حقًّا، فهذه الواحة هي جنة الله على الأرض. هل يعقل أن يوجد في بلدنا مثل هذا الجمال والسحر ولا أحد يعلم عنه شيئًا؟! هل تعلم؟ عندما أتيت إلى هنا كنت أظن بأن هذه الواحة ماهي إلا مجرد صحراء سكانها بدو، ظننت بأنه لا توجد حياة هنا على الإطلاق، لكني صدمت في الواقع، فما هذا الجمال؟! كل مقومات الحياة هنا.**

كل هذا الحوار ونور الدين صامتًا يستمع إلى ناردين، ويكتفي بابتسامته الساحرة، ونظراته العاشقة، أما ناردين فمن هول ما رأت بالكتيب من جمال وسحر لم تستطع أن تتمالك نفسها من شدة الإعجاب والدهشة؛ فتابعت حديثها قائلةً:

- **انظر، انظر، يا نور الدين.**

وهي تريه صفحات الكتيب وتقلبها له بيديها ثم أشارت بأصابعها وتابعت:

- **هنا توجد عيون من المياه الجوفية، عين جوبا، والعين السخنة، والعين الساقعة، وعين كليوباترا، كل هذه العيون الرائعة والآبار الجوفية. انظر، أنا أريد أن أذهب وأرى كل شيء بنفسي، هيا خذني إليها الآن.**

فضحك "نور الدين" قائلًا:

- **سبحان الله، أرى الآن أمامي طفلة عمرها لا يتجاوز الخامسة تريد أن تلهو وتتنزه.**

فضحكت وهي تخفي وجهها بالكتيب في خجل ثم قالت:

- **وماذا بها ؟ نعم أريد أن أزور كل تلك الأماكن الموجودة بالكتيب، العيون، والمنتجع، وفندق الملح، وبحر الرمال،و... و... و...**

فقاطعها ضاحكًا:

- **مهلًا، رويدك؛ فكل هذه الأماكن تحتاج إلى أيام وشهور لمشاهدتها فقط، والآن قد تأخر الوقت والشمس تستعد للغروب. انظري كم هي في قمة الروعة عند غروبها وهي تودع الصحراء؛ لتعلن عن قدوم الليل، فتنسحب في هدوء ووقار، تبارك ألله احسن الخالقين.**

فأجابته ناردين وهي تتابع غروب الشمس بعينيها وقد سجلت هذه اللحظة الرائعة بفيديو من هاتفها، قائلةً:

- **حقًّا يا نور الدين؛ فلقد أمضيت معك عمرًا من السعادة وليست ساعات، لقد أسعدتني لدرجة تكفيني لما سيأتي من عمري، لم أكن أتخيل بأن الله سوف يرسلني إلى هذه الجنة، ويرسلك أنت إليَّ؛ فأشكرك يا ربي، وأدعوك ألا تحرمني هذه السعادة.**

فابتسم نور الدين بعد أن طبع قبلة ساخنة علي جبينها قائلًا:

- **بل أنتِ سعادة الدنيا التي قد منَ الله بها عليَّ، أدعوه بأن أستطيع أن أؤدي شكرها كما ينبغي.**

فبكت من فرط روعة هذا الإحساس وهذه الكلمات وتلك المشاعر الرقيقة الصادقة وهي تعانقه قائلةً:

- **من حسن الحظ أنك هنا، من حسن الحظ أنك بحياتي.**

فعانقها في حنان قائلًا:

- **هيا يا حبيبتي، علينا أن نعود إلى السكن، لقد انتهت رحلتنا اليوم، لكني أعدك بأننا سوف نشاهد كل جزء في هذه الجنة لاحقًّا.**

فابتسمت قائلةً:

- **حسنًا، حسنًا، هيا بنا نعود.**

كل هذه الأحداث التي عاشها كل من نور الدين ونارديـن معًا على مدار العام، لم يكن أحد منهما يعلم بأنه بينما كانا هما يعيشان الكثير من الأحداث في هذا العام، كان هناك من يبحث عن ناردين.

عندما سافرت لأول مرة إلى الواحات كانت قد طلبت من أبيها أن يخفي عن أى مخلوق مكانها، طلبت منه أن يخبر الجميع بأنها سافرت إلى ألمانيا لتستكمل دراستها وتريح أعصابها، وهذا ما فعله أبوها؛ أخفى أمر الواحة عن الجميع.

ترى من الذي يبحث عن ناردين؟ وما هي حكايته؟

(الفصل الخامس عشر)

"شبح الماضي"

بعد أن عادا كل من ناردين ونور الدين من الرحلة الممتعة تلك، دخلت ناردين غرفتها وهي في منتهى السعادة، وبكل حب ودعت نور الدين الذي اطمأن عليها وذهب إلى غرفته هو الآخر.

عندما أضاءت مصباح غرفتها بعد أن أغلقت الباب خلفها كانت المفاجأة؛ فلقد تجمدت مكانها من هول الصدمة، ومن شدة الرعب لم تستطع أن تصدر صوتًا أو تحرك ساكنًا، وكأنها تمثال من حديد، فلقد ذهبت روحها وجحظت عيناها كالذي يرى أمامه ملك الموت، أرادت أن تصرخ، أن تنادي على نور الدين، لكنها لم تستطع أن تصدر صوتًا، وكأن لسانها قد شل.

ظلت هكذا للحظات، حتى انتبهت على صوت ضحكة مرعبة زادتها رعبًا؛ فزلزلت كيانها كله، ارتعد جسدها فزعًا حينما أتاها بعد هذه الضحكة المرعبة صوتًا أجش، لم تنساه هي قط، صوتًا لطالما أرادت أن تنساه وتنسى صاحبه، صوتًا مرعبًا كانت تخشاه دومًا وتخشى أن لا تستطيع التخلص منه، صوتًا كان يوقظها كل ليلة فزعة مرتجفة، صوت ذلك الحقير المختل نفسيًا طليقها، نعم، فكان هذا الصوت الذي آتاها قائلًا:

- **مرحبًا يا جميلتي، لقد أفتقدتك كثيرًا، ألم تفتقدينني أنتِ الأخرى؟ ألم تشتاقيني ؟ فأنا أشتاقك كل ليلة منذ ما يقرب من عام، منذ أن تركتيني وفررتي، هل كنتِ تحسبين أنك سوف تتخلصين مني؟ أهكذا بسهولة؟**

ثم ضحك ضحكته المرعبة وهو يتقدم من ناردين في خطوات بطيئة مميتة، بينما تتراجع هي فزعًا حتى التصقت بالباب وقد اقترب منها كثيرًا ذلك الحقير المتوحش، اقترب منها حتى اختلطت أنفاسه القذرة بأنفاسها؛ فتسارعت دقات قلبها تتسابق، كاد قلبها يتوقف من فرط الرعب عندما لمس الحقير وجهها بأطراف أنامله وهو يوجهه باتجاهه بعد أن أشاحت هي بوجهها عنه وأطبقت عينيها؛ كي لا تراه بالقرب منها هكذا، لكنه أمسك وجهها بيده ثم ضغط على فكها ليؤلمها في إشارة لتذكيرها بمن يكون، ثم بصوته المرعب قال:

- **ماذا؟ ألا تريدين أن تري وجهي؟ انظري حتى تذكرين من أكون، انظري جيدًا إلى وجهي، أم أنني لا أشبه عشيقك الوسيم الذي تركتيني وفررتي معه إلى هنا يا ترى؟**

كل هذا وناردين صامتة، لا تتحرك، لا تتكلم، تحاول أن تستوعب ما يحدث، وفي اللحظة ذاتها تدرك جيدًا أن هذا المختل يمكن أن يقتلتها ويقتل نور

الدين بمنتهى السهولة؛ فحاولت أن تستجمع قوتها، حاولت أن تحمى نور الدين فتمالكت أعصابها بصعوبة بالغة ثم بصوت مرتجف متقطع قالت:

- **ممم، ماذا تريد مني؟ وكيف عثرت عليَّ؟ انظر، فالأمر ليس كما تظن أبدًا، لا يوجد شيء بيني وبين نور الدين؛ فنحن مجرد زملاء عمل وجيران هنا فقط، وإن شئت فاسأل ، فأنا لم أكن أعرف نور الدين من قبل، ولا هو أيضًا هذا كل شيء.**

فأطلق طليقها المختل ضحكته المريضة المرعبة وبتهكم قال:

- **تخدعين من أنتِ؟ هل تحسبينني طفلًا أمامكِ؟ فطوال عام وأنا أبحث عنك في كل مكان، لم ولن أنسى إجباري على تطليقي إياكِ. لم ولن أنسى ما أخبرتي به والدك عني، فأنتِ ملك لي رغمًا عنك وعن والدك ذالك المسن الخرف، الذي اعتقد بأنه سوف يجبرني على فعل شيء رغمًا عني، فلينتظر ما زال دوره لم يأتِ بعد، لكنه على رأس القائمة لا تقلقي.**

ارتعبت ناردين وهي تقول:

- **ماذا؟ ماذا ستفعل لأبي؟ إياكَ أن تمسه بسوء إياكَ.**

فضحك المختل قائلًا:

- **ماذا ستفعلين يا جميلة؟ أخبريني، ماذا ستفعلين لي إن مسسته بسوء، ها؟ لا تتعجلي؛ فالقائمة مليئة. تري، هل أبدأ بوالدكِ؟ أم بعشيقكِ ؟ أم بخالكِ؟ أم**

بكِ ؟ أم بحرق مزرعتكِ؟ أم بمزرعة عشيقكِ؟ أم بأهل عشيقكِ؟ أم...؟ أم...؟ تري، بمن أبدأ؟ فأنا حقًّا قد احترت.

ثم ضحك ضحكته المرعبة، فردت في خوف من هول ما سمعته، كما أنها تعلم مدى خطورته قائلةً:

- **من فضلك يا جلال، أرجوك، لا تؤذي أحدًا؛ فلا ذنب لأحد، إن شئت عاقبني أنا، فأنا وحدي المسئولة عما حدث، أرجوك كن عادلًا قليلًا.**

ثم أخذت تبكي وهي تتابع:

- **ماذا تريد مني؟ سوف أفعل كل ما تريده، ولكن لا تؤذي أحدًا أرجوك.**

فابتسم الشيطان المختل، ثم قال:

- **حسنًا، إليكِ العرض؛ فأنا أريدكِ أن تعودي إليَّ، سوف تتركين هذا المكان وتعودين إلى الإسكندرية وتطلبين من أبيكِ أن تعودي إليَّ. ستخبرينه بأن كل كلمة سبق وأخبرتيه بها عني لم تكن حقيقية، وبأنكِ كذبتي من أجل أن تتركيني، ثم أنك ندمتي على فعلتك تلك، وأردتِ أن تصلحي خطأكِ بالعودة إليَّ، وسوف تأتين إلى وتتوسلين لأعود إليكِ أمام أبيكِ وأبي وأمام كل الناس، هذا أولًا، وأما ثانيًا؛ فردًا لاعتباري سوف تتنازلين لي عن ربع أسهم الشركة، التي هي ميراثكِ من أمكِ، وإلا...**

صدمت ناردين وهي تقول:

- **وإلا ماذا؟**

فأجابها المختل في برود، وهو يبتسم، وقد أخرج خنجرًا من جيبه وأخذ يقلبه بين كفيه.

- **وإلا سوف أقتل أبيكِ وعشيقكِ الوسيم هذا، ثم أحرق المزرعة والشركة وكل شيء، ستشاهدين جهنم على الأرض وفي النهاية ستكونين لي، لكني لن أقتلكِ فورًا، سوف أقتلكِ قتلًا بطيئًا، فكما تعرفين كم أحب التلذذ بتعذيب ضحاياي! كما أن صوت الصراخ والتوسل يطربني ويمتعني، ما رأيكِ؟ فالقرار قراركِ، اها، ولا تنسي أن تشكري لي والدكِ بالنيابة عني؛ فلولاه لما علمت طريقكِ؛ لقد سمعت حديثه معكِ عبر الهاتف منذ شهرين؛ فأخبرني دون أن يشعر بمكانكِ، وكما تعلمين بنفوذي ورجالي، أكملت باقي الطريق من البحث والاطلاع، حتى مفتاح غرفتكِ وغرفة عشيقكِ، نسختين منهما معي كما ترين، أستطيع أن أدخل متى شئت، ليكن بعلمك الزيارة القادمة سوف تكون لغرفة عشيقكِ وسوف تكون آخر زيارة له على الإطلاق، والآن أتركِ تفكرين بعرضي، أمهلتكِ يومين، إما أن تأتي أنتِ؟ وإما أن آتي أنا، هيا، إلى اللقاء يا زوجتي الجميلة.**

ثم قبلها رغمًا عنها وغادر المكان تاركًا ناردين في ذهول، حتى إنها قد سقطت على الأرض من شدة البكاء والرعب ، فماذا ستفعل؟ وكيف ستتصرف؟ هل تترك حبها وحبيبها وحلمها، وتعود إلى شبح الماضي المرعب وعذابه؟ وإن لم تعد فهل ستضحي بأرواح أحبائها؟ إذن فلا خيار أمامها سوى أن تضحي هي بنفسها. باتت ليلتها هذه وهي تحتضر، تموت قهرًا، تلفظ أنفاسها الأخيرة، هل تستسلم؟ أم ماذا تفعل؟ ظلت تفكر وتفكر حتى طلع صباح اليوم التالي، وقد استيقظ نور الدين متجهًا إلى غرفتها ليوقظها وقبل أن يطرق بابها فتحت الباب وهي شاحبة الوجه، وفور رؤيتها له سقطت مغشيًا عليها بين يديه؛ ففزع صارخًا:

- **ناردين، ناردين، ماذا بكِ يا حبيبتي؟**

ثم حملها ليضعها برفق على الفراش، أسرع فأحضر كوبًا من الماء، وأخذ زجاجة العطر ورشها على وجهها لتستفيق.

وأثناء محاولته لإفاقتها وضع كوب الماء على المنضدة بجوار فراشها فلاحظ شيئًا غريبًا أثار دهشته، لقد وجد على المنضدة بقايا سيجارة مطفأة، أخذها وهو ينظر إليها في تعجب متمتمًا:

- **ما هذا؟ كيف؟ من كان هنا؟**

ثم وضعها مكانها عندما سمع صوت ناردين تهذي وقد بدأت تعود لوعيها فقال:

- **حبيبتي ما بكِ؟**

فتحت عينيها التي امتلأت بدموع الألم والحسرة، وكأنها تودعه للمرة الأخيرة، نظرت إليه هكذا دون أن تجيب. شعر بأن هناك أمرًا ما يحدث، لقد فهم معنى نظراتها المودعة، هناك أمر قد حدث بالفعل، في هدوء محاولًا معرفة ما حدث قال:

- **ماذا حدث يا حبيبتي؟ أخبريني، لا تخافي أنا هنا معكِ وبجانبكِ.**

نظرت إليه محاولة إخباره، لكنها لم تستطع فصمتت، وبعد لحظات أجابته:

- **لا يوجد شيء، أنا متعبة قليلًا وهذا كل شيء، أستريح اليوم وسأكون بخير، فلا تقلق يا نور الدين. اذهب أنتَ الآن؛ فاليوم سيبدأ الحصاد، هيا يا حبيبي حتى لا تتأخر. لا تعتل همًا سأصبح بحالة أفضل، هيا.**

فسألها مستفسرًا:

- **ما الذي تخفينه عني يا ناردين؟ أخبريني من فضلك؟**

بصوت مرتعش أجابته:

- **أخبرتك قبل سابق، لا يوجد شيء، هيا اذهب الآن من فضلك أرجوك، سوف أستريح قليلًا ثم ألحق بكَ.**

سمع نبرات صوتها الحزينة المتألمة وهي ترجوه؛ فأدرك أنها لن تتحدث مهما حاول فرد في هدوء قائلًا:

- **حسنًا يا حبيبتي، فلستريحي الآن وأنا سوف أذهب للعمل.**

غادرها مودعًا إلى حال سبيله، فنظرت من نافذة غرفتها؛ لتتأكد من أنه قد ذهب بالفعل، رأته وهو يغادر بالدراجة البخارية فتنفست الصعداء، ثم انفجرت في البكاء صارخة:

- **يا الله، أرشدني، ماذا أفعل؟**

جلست تفكر إلى أن هداها تفكيرها إلى محادثة طبيبتها النفسية؛ فهي بحاجة لأحد تتحدث معه ويسمعها، أخرجت رقم الطبيبة لتحادثها قائلةً:

- **مرحبًا طبيبتي، أرجوكِ أنا بحاجة إليكِ، أشعر بأنني لست بخير على الإطلاق.**
- **حسنًا يا ناردين فلتهدأي أولًا، ثم حدثيني عما جرى.**

ردت وهي تبكي بشدة مما جعل كل جزء بجسدها يرتعد قائلةً:

- **لقد... لقد أتى إلى هنا، لقد عثر عليَّ.**
- **من؟ هل طليقكِ؟ من تتحدثين عنه؟**
- **أجل، طليقي جلال المختل، يريد... يريدني أن أعود إليه وإلا سوف يقتل والدي وخالي وجميع أحبائي، لقد هددني بقتل نور الدين أيضًا، وحرق**

مزرعتنا وبيتنا وشركة أبي وكل شيء. أمهلني يومين، إما أن أترك حياتي هنا وأعود إليه وإلى عذابي معه، وإما أن يقتل كل من يحيطون بي وأولهم حبيبي.

ثم انهارت وهي تتابع باكية:

- **أخبريني، ماذا أفعل؟ هل تعتقدين بأنه سوف ينفذ ما توعدني به ويقتل من حولي؟ أعلم تمامًا بأنه يفعل ذلك وبدم بارد.**
- **حسنًا، فلتهدأي الآن، سأحاول التحدث إليه؛ ربما أستطيع التفاهم معه لنصل إلى حل، لكني لست واثقة، أعتقد أنه شديد الخطورة ويحتاج إلى علاج نفسي عاجل، ليكن، سأتحدث إلى أستاذي؛ ليقوم بإقناعه بتلقي جلسات للعلاج.**
- **أتمنى ذلك، أرجوكِ افعلي ما بوسعك، ساعديني فأنا أموت الآن، بالفعل أموت.**

انتهت المحادثة على ذلك وهي تبكي راجية الله بأن يجعل لها مخرجًا، لم تكن على علم بأن نور الدين قد سمع كل حديثها مع طبيبتها وفهم كل شيء؛ فلقد تظاهر أمامها بالمغادرة ثم عاد من الطريق الآخر، اقترب من غرفتها دون أن يحدث صوتًا؛ فسمع حديثها عبر الهاتف ثم انصرف خفية وابتعد دون أن تراه، ذهب إلى الشيخ حامد، فلما رآه الشيخ عابسًا، غاضبًا سأله:

- **مابك يا ولدي؟**

فأجابه نور الدين غاضبًا:

- **هناك مشكلة كبيرة وخطيرة لا أدرى كيف أتصرف بها دون أن ألحق الأذى بناردين.**
- **ما الأمر أخبرني؟ وما هي تلك المشكلة؟**

ترى كيف ستحل هذه المشكلة الخطيرة؟

(الفصل السادس عشر)

"الاستعداد للخلاص"

سأل الشيخ نور الدين عن ماهية المشكلة المتعلقة بناردين؛ فحكى له الحكاية منذ البداية، حتى اللحظة التي سمع فيها محادثتها التليفونية مع طبيبتها، وكيف أنها أخفت عنه هذا الأمر خوفًا عليه وعلى حياته، ثم في غضب قال:

- **أبدًا لن أتركها تعود إلى ذلك الحقير المختل مهما كان الثمن حتى ولو كان حياتي، حتى لو اضطرني الأمر لقتله سأفعل، لن أسمح بأن تعاني ناردين لحظة عذاب أخرى مع ذلك القذر مهما كان الثمن.**

فربت الشيخ على كتفه قائلًا:

- **رويدك يا ولدي، انتظر، يجب علينا التفكير بهدوء في هذا الأمر؛ فالأمر جد خطير، يجب أن تكون كل خطوة فيه مدروسة ومحسوبة وإلا، فالثمن سيكون فادحًا. نحن نتحدث عن أرواح هنا يا ولدي، عن روحك وروح ناردين وأرواح أخرى بريئة؛ لذا وجب علينا التفكير بروية وحكمة.**
- **ماذا سنفعل؟ وكيف نتصرف؟ والأهم من ذلك هو حماية ناردين ومنعها من التضحية بنفسها.**

- **يجب أن تعلم بأنك قد علمت بهذا الأمر وأنه علينا جميعًا التفكير في حل للخلاص من هذا المعتوه المختل.**

فرد نور الدين:

- **معك حق يا شيخ حامد، يجب علينا التفكير بهدوء وحمايتها والآن سأذهب إليها؛ لأخبرها بعلمي بما حدث حتى أمنعها مما تفكر به من العودة إلى ذلك المختل.**
- **حسنًا يا ولدي، يجب عليَّ حمايتكما؛ فاذهب وأحضر ناردين لتقيما هنا معي إلى أن ننهي هذا الأمر، لن أترككما في هذا السكن بمفردكما بعد الآن؛ فالأمر أصبح جد خطيرًا، حتى نرى ماذا سنفعل.**
- **حسنًا، سوف أحضرها وآتي قبل أن يحل المساء.**

عاد نور الدين إلى السكن ليتحدث إلى ناردين ، عندما وصل إلى غرفتها طرق الباب بهدوء حتى لا يفزعها؛ ففتحت له وكانت في منتهى الإعياء، وجهها شاحب كأنها جثة باردة قد غادرتها روحها منذ وقت طويل، عيناها ذابلتان قد أطفأت الدموع بريقهما فتركتهما مظلمتان، فلما شاهدها على هذه الحالة، ضمها في حنان ولم يتفوه بحرف، عانقها في صمت؛ لتسمع دقات قلبه وهي تطمئنها بأنه لن ينبض إلا لها وبها، لتختلط أنفاسه بأنفاسها؛ فتخبرها بأنه لا يمكن لمخلوق أن يفصلهما عن بعضهما مهما حدث؛ لتشعر بأمانه وذراعيه

تحتويها في قوة وإصرار، مرت لحظات صمت طويلة، لكنها حكت الكثير من المشاعر التي عجزت الكلمات عن ترجمتها، شعرت وهي بين ذراعيه كأنها في قلعة حصينة، تمنت لو توقف الزمن عند هذه اللحظة؛ فوضعت رأسها على كتفه مطبقة عينيها ثم تنفست بعمق وكأنها تسحب أنفاسه؛ لتحبسها بداخلها لتظل معها إلى الأبد بعد أن تفارقه لمصيرها المحتوم. شعر بما تعانيه وهي بين ذراعيه؛ فقرر أن ينهي عذابها وحيرتها فابتسم في حنان قائلًا:

- **حسنًا يا حبيبتي، تعالي فأنا أريد أن أتحدث معك.**

أمسك بيديها في رقة ليجلسها على المقعد المقابل له وجلس هو قبالتها ممسكًا بيدها وهو ينظر في عمق عينيها بحب شديد ثم قال:

- **حبيبتي، هوني على نفسك؛ لقد علمت كل شيء، علمت سبب هذه الحالة التي أنتِ عليها.**

نظرت إليه باندهاش، ثم بصوت مرتبك ومرتجف قالت:

- **علمت؟ ما الذي علمته يا نور الدين؟**

فأجابها وهو ما زال قابضًا على يديها برقة ليطمئنها.

- **علمت بأن هذا الحقير المدعو طليقكِ قد أتى إلى هنا، وعلمت ما طلبه منكِ؛ لقد سمعت كل حديثكِ مع طبيبتك؛ فأنا لم أذهب كما ظننتي. عندما شككت**

بأن الأمر به شيء مريب تظاهرت بأنني قد غادرت ثم عدت؛ فسمعتك تتحدثين، فعلمت كل شيء...

قاطعته في فزع شديد قائلةً:

- **أرجوك يا نور الدين دعني أذهب؛ فهذا هو الصالح لكَ ولي، ولكل من حولي، أرجوك، أنا أستطيع أن أتحمل الألم والعذاب فلقد اعتدته، لكني لا أستطيع أن أتحمل فقدانكَ أبدًا. أرجوك، لا تحاول منعي؛ فلم يعد هناك شيء نستطيع فعله؟**

ثم انخرطت في البكاء، فحاول تهدئتها قائلًا:

- حبيبتي، أنصتي إليَّ، أنا لن أتركك مهما كان الثمن، ثم أن أرواحنا بيد الله وحده، ولا أحد يستطيع فعل شيء دون إرادة الله فاسمعيني جيدًا، الآن اجمعي بعض أشيائكِ، لقد قصصت كل شيء على الشيخ حامد؛ فنصحني بأن نقيم أنا وأنت عنده هذه الفترة حتى ننتهي من هذه المشكلة. هيا لنذهب، وهناك ستكونين بأمان لحين انتهاء هذه المشكلة.

فأجابته في خوف باكية:

- لا يا نور الدين، دعني أذهب؛ حتى لا يتأذى أحد أرجوك...

فقاطعها في حدة وحزم صارخًا:

- قلت هيا، هيا يا ناردين.

وأمسك بيديها ليغادرا إلى دار الشيخ. هناك جلس الثلاثة يحاولون إيجاد حل لهذه الكارثة فقال الشيخ حامد:

- اسمع يا نور الدين سوف نقوم أنا وأنت بعمل دوريات مراقبة هنا على باب الدار؛ تحسبًا لحدوث شيء ما، فمن المؤكد أن هذا المختل سوف يأتي إلى السكن إذا لم تذهب ناردين؛ لذا يجب علينا أن نأخذ حذرنا، وفى الصباح سوف أستدعي أصدقاء لي قدامى من سكان الجبال؛ ليأتوا ويساعدوننا في الحراسة.

فأجابه نور الدين:

- حسنًا.

فتابع الشيخ:

- بالنسبة لناردين سوف تبقى هنا، لن تخرج لأي مكان حتى ننهي أمر ذلك المختل.

ونظر إلى ناردين قائلًا:

- مفهوم؟ لن تخرجي من هنا مهما حدث.

فأجابته وهي تبكي:

- مفهوم، ولكني خائفة جدًا عليكما.

فطمأنها كل من الشيخ ونور الدين قائلين:

- لا تخافي فلن يحدث شيء.

ثم تابع نور الدين قائلًا:

- غدًا إن شاء الله، تتصلين بطبيبتك؛ لتنظري ماذا فعلت؟

- حسنًا، سأفعل.

- حسنًا يا حبيبتي، لتخلدي الآن إلى النوم؛ فأنتِ مجهدة ومتعبة جدًّا، غدًا يفعل الله ما يريد.

فابتسمت وأغمضت عينيها قابضة بيديها على يديه حتى نامت؛ فنهض بهدوء متجهًا خارج الدار فوجد الشيخ حامد وقد أشعل كومة من الحطب واضعًا عليها إبريقًا للشاى، وهو يجلس في ترقب أمام باب الدار معلقًا بندقيته على كتفه، فجلس بجواره ثم قال متنهدًا

- أوف، ماذا سنفعل؟ فبعد غد سيأتي ذلك المختل؛ ليأخذ رد ناردين على عرضه. والله، إن شيطانى ليحدثني بأن أذهب وأقتله؛ ليستريح العالم من مختل مثله.

نهره الشيخ على الفور في غضب قائلًا:

- إياكَ، إياكَ أن ترتكب جنونًا مثل هذا، أجننت أنت؟ وماذا سيحدث لك بعد أن تقتله؟ هل فكرت ماذا سيحل بك بعد قتله؟ سوف تشنق، هل هذا ما

تريده؟ تترك ناردين وحدها في هذه الحياة؟ عد إلى صوابك، تمالك نفسك وأخرج هذه الأفكار من رأسك. اترك الأمر لي، سوف أحله بطريقتي.

فتنهد نور الدين ثم قال متسائلًا:

- ولكن كيف؟ أخبرني يا شيخ، هل لديك خطة؟

صمت الشيخ قليلًا وهو يقلب الشاى في الكوب بالملعقة وكأنه يقلب الأفكار في رأسه، ثم نظر إلى نور الدين بعمق مجيبًا:

- أجل، لدي خطة وحل مؤقت في الوقت الراهن؛ حتى نرى ما الذي سيحدث لاحقًا.

فاعتدل نور الدين في مجلسه وباهتمام شديد قال:

- وما هي هذه الخطة؟ أخبرني من فضلك.

فأجابه الشيخ وهو يحتسي كوب الشاى خاصته قائلًا:

- سوف أخبرك، ولكن ليكن بعلمك أنت وناردين لن تكونا طرفًا في هذه الخطة، ستكونان بعيدين تمامًا عن هذا الأمر، هل فهمت؟ يجب أن لا تكون لكما أي علاقة لا من قريب ولا من بعيد بما سيحدث، مفهوم؟

اندهش نور الدين؛ فهو لم يفهم، كيف سيكون هو خارج هذه الخطة؟ وكيف سينقذ ناردين إذن؟ وما هو دوره؟ ثم رد متسائلًا:

- أنا لا أفهم شيئًا.

-الآن سوف تفهم كل شيء، إليك الخطة، ذلك الحقير سوف يأتي بعد غد؛ ليأخذ جواب ناردين على عرضه، أليس كذلك؟

فأجابه نور الدين في عصبية شديدة:

- أجل، ولكني لن أسمح له برؤيتها أبدًا.

فرد الشيخ في هدوء:

- نعم، نعم، انتظر حتى أتم حديثي.

فاعتذر قائلًا:

- عفوًا يا شيخ، تفضل، لن أقاطعك مرة أخرى، لا تؤاخذني.

فابتسم الشيخ في دهاء قائلًا:

- وعندما يأتي المختل بالتأكيد لن يجد ناردين في استقباله، بل سيجد رجال معارفي من سكان الجبل كما تقولون أنتم أهل الحضر عليهم مطاريد؛ فخلال سنوات عمري الماضية كنت أسكن معهم وأعيش بالجبل، لكني منذ سنوات قليلة قررت أن أستقر هنا في هذه الدار، دعك من هذا الأمر الآن، نعود لموضوعنا، وسيكون بانتظاره أشد رجالي وأشجعهم، سيقبضون عليه وعلى رجاله وسيأخذونه إلى مغارة في الجبل. هناك سوف أتعامل أنا معه وسأحاول إيجاد حلًا، فإما أن يترككما وشأنكما وإما ستكون نهايته؛ لذلك لن تظهرا أنت وناردين في الصورة أبدًا، ستظلان بعيدين عن هذا الأمر. بعد أن يتم أمر

اختطافه ستعودان أنت ونادين إلى السكن وتتابعان حياتكما وعملكما بشكل طبيعي، هل فهمت؟

فأجابه نور الدين:

- نعم، ولكن أليس هذا الأمر خطيرًا، وقد يعرضك للمساءلة القانونية، أو لا قدر الله قد تفقد روحك، لا، لا، فأنا لا أقبل بأن أعرضك لمثل هذا الخطر.

قاطعه الشيخ فى إصرار قائلًا:

- **سوف تنفذ ما أخبرتك به دون نقاش، انتهى الموضوع، وأغلق على هذا، هل فهمت؟ هيا اذهب لتنام أنت الآخر واتركني لديَّ أعمال سوف أنجزها.**

نهض نور الدين وهو ينظر إلى الشيخ حامد بكل حب وعرفان، ثم عانقه بشدة قائلًا:

- **حسنًا يا والدي، ولكن عدني بأنك سوف تهتم بنفسك ولن تعرضها للخطر.**

فعانقه الشيخ بدوره بنفس الحب والعرفان ثم رد قائلًا:

- **لا تخف يا ولدي، إن شاء الله كل شيء سوف يصبح جيدًا.**

ثم تركه وذهب لينام تاركًا الشيخ لأعماله وخططه حتى حل صباح اليوم التالي.

(الفصل السابع عشر)

"ساعة الصفر"

في صباح اليوم التالى استيقظ نور الدين؛ ليذهب إلى عمله، كانت ناردين ما زالت نائمة في سبات عميق، لا تحرك ساكنًا، ظل ينظر إليها في حب وحنان مشفقًا عليها مما عانته تلك الليلة المؤلمة؛ لقد عانت روحها الكثير من الاضطرابات والهلع بسبب ذلك الحقير، مسح على وجهها بأطراف أنامله في رقة وحنان ثم ابتسم قائلًا:

- **ما أجملك يا ملاكي! تنامين كطفلة بريئة تكسو ملامحها السلام، آه يا جميلتي، حزنت على ما عايشتينه ليلية أمس، لكني أعدك، لن أسمح لأى مخلوق بإيذاء روحك النقية تلك، لن أسمح لأحد بإيلام قلبك الرقيق هذا، أعدك بأن كل شيء سيكون أفضل، سنكون لبعضنا مهما حدث؛ فلن ينتصر الشر في نهاية قصتنا أبدًا؛ فقصتنا سوف تنتهي نهاية سعيدة نكون فيها أسعد زوجين في العالم.**

ثم طبع قبلة حانية على جبينها وتركها ليذهب لعمله، عليه أن يتصرف بشكل طبيعي كما اتفق مع الشيخ حامد؛ حتى لا يشك أحد في شيء.

أثناء خروجه وجد رجلين يقفان على الباب؛ فاندهش ثم سألهما في ترقب قائلًا:

- **من أنتما؟**
- فأجاب أحدهما:
- لا تقلق يا بشمهندس، نحن رجال الشيخ حامد نقف هنا للحراسة ولحمايتكما.

فاطمأن نور الدين ثم قال:

- **حسنًا، اعتنيا بناردين من فضلكما؛ فهي في أمانتكما حتى أعود.**

فابتسم الرجلان ثم قالا:

- **لا تقلق فالأمر لدينا.**

وغادر إلى مزرعته. أثناء ذلك، كان الشيخ يجمع رجاله وأصدقاءه القدامى؛ ليضع خطته. الكل لبى النداء واستعد بكامل قوته للمساعدة ولتنفيذ ما يأمرهم به.

في المغارة حيث اجتمع المطاريد جلس الشيخ حامد ثم قال:

- **أعزائي وأصدقائي، اليوم أنا بحاجة إليكم وإلى مساندتكم.**

فأجمع الكل على أنهم معه فيما يريد، فتابع:

- **حفظكم الله.**

ثم قص عليهم قصة المختل متابعًا:

- **والآن علينا أن نقوم باحتجازه هنا، وبترويعه قدر المستطاع؛ حتى ينتهي ويبتعد عن ناردين ونور الدين تمامًا. إليكم الخطة، سوف يأتي هذا الحقير غدًا في غرفة ناردين وسنكون نحن بانتظاره هو ومن معه، سنقوم بتكميمهم وأنتم أدرى بعملكم بالطبع لن أوصيكم، ثم نحضرهم إلى هنا في هذه المغارة مؤقتًا؛ لحين نقلهم إلى الجبل الكبير الموجود على الطريق الصحراوى في اتجاه الإسكندرية. يجب أن يكون بعيدًا عن هنا قدر المستطاع، مفهوم؟**

فأجمع الرجال:

- مفهوم، لا تقلق هذا العمل عندنا، اعتبره قد تم بالفعل.

فشكرهم ثم قال:

- ولكن دون سفك أي قطرة دم؛ فنحن لن نقتل أحدًا مهما حدث، كل ما هنالك أننا سنقوم بإرهاب هذا المعتوه؛ ليتراجع عن إيذائه لناردين وتهديده لها ليس أكثر، كونوا على حذر.

فأكد الرجال:

- حسنًا كما تريد يا شيخنا.

فشكرهم مرة أخرى ثم هب واقفًا مستعدًا للمغادرة، وودعهم عائدًا إلى داره. لما عاد الشيخ كانت ناردين قد استيقظت، فلما رأته سألته بفزع عن نور الدين، وما الذي ينوي أن يفعله؟ وماذا سيحل به؟ فطمأنها قائلًا:

- **لا تخافي يا بنيتي؛ فأنتِ ونور الدين في أمانتي، أنا سوف أحل هذا الأمر دون تدخل لنور الدين ودون إيذاء لأحد. فقط، ثقي بي واتركي هذا الأمر لي، لكني أريد منك شيئًا.**

فردت فى توتر:

- **ماذا يا شيخ؟**
- **أريد منك أن تكوني هادئة، وأن تتعاملي بشكل طبيعي، ولا تذكري لأى أحد أنك قد تقابلتي مع ذلك المختل، أو حتى أنك تعلمين عنه شيئًا.**
- **حسنًا، ولكن طبيبتي تعلم كما أنني سأتحدث معها؛ لأعرف ماذا فعلت؟**
- **حسنًا، افعلي لنرى ماذا فعلت؟ ثم بعد ذلك نقرر.**

على الفور اتصلت ناردين بطبيبتها فأجابتها في توتر وخوف قائلة:

- **عفوًا يا ناردين، لقد فشلت في إقناعه حتى بمجرد الحديث معي، أنصحك بأن تعلمي الشرطة؛ فهذا المريض لا ينوي على خير أبدًا حتى لو نفذتي ما طلبه منك فالأمر خطير للغاية؛ لقد هددني أنا شخصيًا بأنه سوف يذبحني إذا**

اتصلت بك أو تحدثت لأي أحد وخاصة الشرطة عن هذا الأمر، وللحق فقد وعدته بأنني لن أتحدث لأى أحد. معذرة يا ناردين فلقد خشيت على نفسي.

شكرتها ناردين قائلةً:

- **حسنًا، أنا أتفهمك لأنني عشت مع هذا المختل وأعلم جيدًا ما يستطيع فعله.**

ثم أغلقت الهاتف، وقصت على الشيخ حامد ما حدث فعلق مُرَحِبًا:

- **جيد ما حدث؛ فالطبيبة لن تتحدث أبدًا، وأنت كما اتفقنا سوف تنكرين أي صلة بينك وبينه، الآن، أو بعد ذلك؛ لأنني سوف أقوم باختطافه ولا أعلم كم من الزمن سيمكث هذا الحقير حتى نحل الأمر معه، وحتمًا سوف يشعر أهله بغيابه وسيقومون بإبلاغ الشرطة، ومن المحتمل أن تسألك الشرطة عنه، وحينها سوف تنكرين أنك رأيتيه أو حادثتيه منذ طلاقكما، اتفقنا؟**

فأجابته في اضطراب:

- **حسنًا، اتفقنا.**

عاد نور الدين من المزرعة، فوجد ناردين تعد الغداء، فجلس يتحدث مع الشيخ حامد عن الخطة وكيفية تنفيذها؛ فأخبره بما قام به وبحديث الطبيبة. جلس الثلاثة يتناولون الغداء في الدار، وكان الرجال بالخارج؛ فأخرج لهم

نور الدين الطعام، ثم جلس الشيخ يقص عليهما حكاياته ونوادره؛ ليخفف عنهما ويزيل توترهما حتى أتى المساء؛ فنام الجميع.

في صباح اليوم التالي، خرج كلٌ من ناردين ونور الدين إلى المزرعة؛ ليشاهدهما الجميع وتنفذ الخطة، وخرج الشيخ حامد ليتفقد رجاله، ويتمم على كل شيء بنفسه؛ استعدادًا لليلة اليوم.

بعد أن أنهى الثنائي عملهما عادا إلى دار الشيخ، جلسا ينتظران الأخبار، في حين أن الشيخ ورجاله كانوا في غرفة السكن الخاصة بناردين بانتظار فريستهم.

في تمام الساعة التاسعة مساءً حضر جلال وفتح باب غرفة ناردين؛ فدخل بكل ثقة واستهزاء، كانت الحجرة مظلمة؛ فدلف ثم أغلق الباب خلفه بالمفتاح في إشارة لترويع ناردين؛ ظنًا منه بأنها نائمة في الغرفة، لكنه عندما أضاء مصباح الغرفة كانت المفاجأة؛ فلقد وجد أمامه الشيخ حامد ورجاله فاندهش، تراجع للخلف في خوف لم يستطع أن يواريه ثم تلعثم قائلًا:

- **من أنتم؟ وماذا تريدون؟ وأين ناردين؟**

فابتسم الشيخ حامد وهو يحدق بوجه جلال المختل بنظرات حادة ومرعبة، ثم بصوت مرعب قال:

- **أعتقد بأنك لست في حال يسمح لك بطرح الأسئلة هنا.**

ثم أشار إلى رجاله؛ فالتفوا حول المختل وأعصبوا عينيه بشريط أسود، ثم كمموا فمه بكمامة وأوثقوا يديه وقدميه بحبل سميك بإحكام، وهو يحاول أن يتخلص منهم في محاولات فاشلة، ثم حملوه وذهبوا به إلى المغارة، وكان معه أربعة رجال ينتظرونه بالخارج؛ فتم القبض عليهم هم الآخرون من قبل رجال الشيخ، واقتادوهم جميعا إلى المغارة. عاد الشيخ إلى داره وأخبر نور الدين وناردين بأن الأمر قد تم، وبأنهما عليهما العودة فورًا إلى السكن؛ حتى لا تثار الشكوك.

عادا كلٌ منهما إلى غرفته، وهناك تمسكت ناردين بيد نور الدين، وبصوت مرتجف قالت:

- **لا تتركني بمفردي هنا، أرجوك أبقى معي الليلة؛ فأنا ما زلت أشعر بالخوف.**

فأجابها مبتسمًا:

- **حسنا، سوف أبقى، ولكن لا داعي لخوفك، انظري؛ فالشيخ سوف يحل الأمر.**

فردت في خوف وتوتر أكبر

- **نعم، ولكن ماذا لو لم يستطع الشيخ حامد حل الأمر؟ ماذا لو هرب هذا المختل من يده؟ يا الله، يا ربي، أنقذنا يا ربي ولا تريني هذه الأيام، فلا قدر الله لو حدث ذلك ستكون نهايتنا جميعًا، لن يرحم أحدًا منا.**

ثم انهارت في البكاء؛ فعانقها مطمئنًا إياها وبصوت هادئ قال:

- لا تقلقي يا حبيبتي؛ فلن يحدث هذا إن شاء الله، اطمئني، فأنا أثق بالشيخ، وأعلم أنه يستطيع أن يحل الأمر.

فقالت:

- أتمنى ذلك، يا الله، كن معنا يا رحمن.

(الفصل الثامن عشر)
"تنفيذ الخطة"

عاد الوضع كما كان عليه بالنسبة لنور الدين وناردين وعملهما، كل شيء يسير بشكل طبيعى، وعلى الجانب الآخر؛ فالشيخ حامد كان قد أمر رجاله بنقل جلال ورجاله الأربعة إلى أحد الجبال على الطريق الصحراوى، بالقرب من الإسكندرية، حتى لا تكون هناك أي علاقة لناردين بالموضوع.

في الجبل، دخل الشيخ على جلال في إحدى المغارات حيث احتجزه رجال الشيخ، وقد قيدوا يديه خلف ظهره وأوثقوا قدميه بإحكام واضعين على فمه شريطًا لاصقًا، وعصبوا عينيه برباط أسود.

فى المغارة المجاورة، فعلوا نفس الشيء مع رجاله الأربعة، فدخل الشيخ وبصوت مرعب مستهزء تحدث قائلًا:

- **مرحبًا بك في مملكتي.**

ثم ضحك بصوت مخيف فى حين أن جلال أخذ يتحسس اتجاه هذا الصوت، فأخذ يدور برأسه وهو معصوب العينين في كل اتجاه، ثم توقف باتجاه الشيخ حامد، وبصوت مرتجف متلعثم رد قائلًا:

-من أنت؟ وماذا تريد مني؟ لماذا أحضرتني إلى هنا؟ وماذا ستفعل بى؟

فضحك الشيخ ضحكته الصاخبة المرعبة، ثم بلكنته البدوية أجابه قائلًا:

- **رويدك، رويدك، لمَ العجلة؟ فأمامنا الوقت طويل، سنلهوا فيه معًا، دع الأيام هي التي تجيبك بنفسها عن تلك الأسئلة؛ لذا لا تشغل رأسك الجميل هذا بهذه الأسئلة الآن.**

ارتعد جلال فزعًا فور سماعه لهذه الكلمات؛ فلقد أدرك بأنه قد وقع بالفعل في قبضة عصابة من قطاع الطرق والمطاريد، وهو يعلم تمام العلم بأنهم لا يمزحون، وبأنه لم يفعل ما يريدونه منه، فسوف يقتلونه دون أن يرف لهم رمش، وسوف يلقون بجسده لذئاب الجبل، دون أن تأخذهم به رأفة أو رحمة. ازداد خوفًا ورعبًا ثم رد في فزع قائلًا:

- أرجوك، خذ ما تريد واتركني أذهب، أعدك، لن أخبر أحدًا بما حدث.

فرد الشيخ في حزم قائلًا:

- تمهل، فسوف نجلس ونتحدث ونتفاوض، لكن ليس الآن؛ لنقدم لك واجب الضيافة أولًا، ثم نخبرك بما نريده منك بعد ذلك.

إلتفت إلى رجاله وبصوت غليظ أجش قال:

- **يا رجال، اعتنوا بضيفنا جيدًا حتى أعود إليكم، ولا تنسوا، إذا لم يجلس الضيف بهدوء وسبب لكم إزعاجًا ولو بسيطًا، لا تترددوا وانهوا أمره على الفور.**

ثم غمز لهم بإحدى عينيه في إشارة بأن هذا الكلام ليس جادًا، وإنما هو مجرد تهديد ليس إلا؛ ففهم الرجال ثم أجابوه:

- **أمرك يا شيخنا.**

ثم انصرف تاركًا جلال يرتعد فزعًا من المصير الذي ينتظره، وعاد إلى داره حيث كان فى انتظاره الثنائي وهما في شدة التشوق؛ لمعرفة ما الذي حدث مع جلال. فور رؤيتهما للشيخ حامد؛ أقبلا عليه مسرعين وبلهفة، وفي ذات اللحظة بنفس الصوت تسائلا:

- **ما الذي حدث؟**

فأجابهما الشيخ في هدوء مبتسمًا:

- **اهدآ؛ فالأمر على ما يرام، كل شيء تحت السيطرة.**

ثم قص عليهما ما حدث بالتفصيل، وبعد أن أنهى حديثه نظر إلى ناردين فوجدها شاردة في حزن، فنظر إلى نور الدين الذي لاحظ هو الآخر هذا الأمر؛ فقطع عليها شرودها قائلًا:

- **ماذا بك يا حبيبتي؟ فيما شرودك هذا؟ ولمَ كل هذا الحزن الذى أراه يملأ عينيك؟**

نظرت إليه بعينين دامعتين يملأهما الخوف ثم أجابته قائلةً:

- **أخاف من نتيجة هذا الأمر، أخاف من أن ينتقم مني ومنك ذلك المعتوه، أخاف من ردة فعله على ما فعله الشيخ حامد به.**

وهنا تدخل الشيخ بكل ثقة قائلًا:

- **لا تخافي يا بنيتي، ما دمنا أنا ونور الدين بجانبك لا تخافي من أى شيء مهما كان، ليكن بعلمك، فذلك المعتوه أجبن من أن يمسك أو يمس أحدًا بسوء، هو فقط يعلم مدى خوفك منه ويستغل هذه النقطة في تهديدك، كما أنني قد علمت طينته اليوم عندما تعمدت ترويعه، وجدته شخصًا في منتهى الجبن والضعف. من خلال خبراتي بالحياة، أضمن لك بأنه بعد ما ينتهي عملنا معه لن يقترب منك ما دام حيًا؛ فلتثقي بي يا بنيتي ولتطمئني.**

فإبتسم نور الدين ثم رد قائلًا:

- **ها، فما رأيك في هذا الكلام الرائع؟ أعتقد أنه لا يوجد شيء بعد هذا الحديث يجعلك تشعرين بأى خوف، اتفقنا؟ هيا ابتسمي، هيا اجعلي شمس حياتي تشرق على وجنتيك؛ لتنير وجهك الجميل هذا.**

فابتسمت قائلة:

- **ما هذا الإطراء الرقيق يا بشمهندس؟ هل تركت مهنة الزرعة واحترفت الشعر والغزل يا ترى؟**

فرد مبتسمًا، وهو ينظر في عمق عينيها بنظرات عشق صريحة قائلًا:

- **أجل، فمعك أصبح شاعرًا، أصبح عاشقًا، وإن تطلب الأمر أصبح قتيلًا لهذا الهوى.**

فوضعت يدها على الفور على فمه؛ لتمنعه من متابعة حديثه، ثم أردفت قائلة:

- **لا أريد أن أسمع هذه الكلمة مرة أخرى؛ فما زال أمامنا الكثير والكثير من العمر لنعيشه معًا.**

فابتسم وهو يقبل يديها في حب قائلًا:

- **إن شاء الله يا حبيبتي، إن شاء الله.**

وهنا قاطعهما الشيخ حامد مازحًا:

- **أجل، فأنا أريد أن أصبح جدًا في أقرب وقت، ولن أتنازل عن أربعة حفداء، مفهوم؟**

فابتسم نور الدين ثم قال:

- **أربعة فقط؟ أنا أريد ستة.**

ثم ضحكا الاثنان، بينما ناردين قد احمر وجهها خجلًا، واكتفت بابتسامة خجولة، وأثناء ذلك، رن هاتف الشيخ حامد فاتجه كل من ناردين ونور الدين بناظريهم تلقاء الهاتف؛ لمعرفة ما الأمر.

(الفصل التاسع عشر)
"للقدر حساباته"

رن هاتف الشيخ حامد فأجاب على الفور ثم قال محدثًا الطرف الآخر على الهاتف:

- **عظيم، هذا هو المطلوب، حسنًا، ليبقى الوضع على ما هو عليه حتى نلتقي صباح الغد.**

أغلق الهاتف وهو ينظر بتمعن إلى وجهي الثنائي المتشوقان لمعرفة ما حدث، ثم ابتسم فى ثقة قائلًا:

- **لقد تم طهي طبختنا على نار هادئة؛ حتى نضجت تمامًا فحان موعد تناولها ساخنة.**

ففهما مقصده وما يرمي إليه؛ فعلق نور الدين متسائلًا:

- **أخبرنا بالتفاصيل يا والدي فضلًا.**
- **لقد أخبرني أحد رجالي بأن المختل يريد مقابلتي، كما أنه مستعد لتنفيذ كل ما أريده منه؛ فلقد بلغ منه الرعب مبلغ الموت، يرتعد رعبًا؛ لذا سأذهب إليه غدًا لأنهي هذا الأمر.**

ثم نظر إلى ناردين في حنان قائلًا:

- **وبعد ذلك ستصبحين في أمان يا بنيتي، لن يستطيع هذا المختل الاقتراب منكِ أو أذيتكِ أو أذية أي أحد من طرفك مطلقًا.**

فعانقته على الفور وبصوت باكٍ قالت:

- **شكرًا يا أبي، أنت بالفعل أبي؛ فهذا ما أشعره تجاهك، أدامك الله لنا أمانًا وسندًا.**

فدمعت عينا الشيخ حامد فور سماعه هذه الكلمات الرقيقة، التي اخترقت نسيج قلبه بصدقها، ثم قال:

- **وأنتِ ونور الدين أبنائي حقًّا؛ لقد منحتماني عمرًا جديدًا عندما تعرفت إليكما. مُحِيت وحدتي وحلت محلها حبكما لي وحبي لكما؛ فأصبحتما أبنائي اللذين حرمت منهم لسنوات؛ لذلك أنا على أتم استعداد لتقديم حياتي ثمنًا لسعادتكما.**

فقام نور الدين هو الآخر، بعناق الشيخ، وكانت لحظات حانية مليئة بالكثير والكثير من المشاعر الجميلة.

في صباح اليوم التالي، غادر الشيخ حامد إلى الجبل؛ ليلتقي جلال ويحسم الأمر، فور وصوله إلى بوابة المغارة، قام رجاله بإطلاق عدة أعيرة نارية في الهواء؛ ترحيبًا بقدومه، فلما سمع جلال دويها انتفض رعبًا، كان على نفس الحالة التي تركه عليها الشيخ حامد بالأمس، معصوب العينين، ومقيد

الأرجل والأيدي؛ فسلم الشيخ على رجاله شاكرًا لهم ترحيبهم، ثم بصوت حاد وجاد أثناء وقوفه على بوابة المغارة تحدث قائلًا:

-ها، كيف حال ضيفنا؟

فأجابه أحد الرجال:

-ها هو بخير والشكر لله، لقد التزم الصديق بكل القوانين؛ فأنقذ روحه حتى الآن.

فابتسم الشيخ في دهاء، ثم غمز بإحدى عينيه لرجاله وهو يقول:

-عظيم، والآن، فلنذهب لنخبر ضيفنا بما نريده منه، والباقي يتوقف عليه هو، فإما أن ينجو بنفسه،وإما أن يخط بيديه شهادة وفاته.

أنصت جلال إلى الحوار الدائر؛ فازداد هلعًا، ثم حدث نفسه قائلًا:

- مهلًا، لأنجو أولًا من هنا؛ قسمًا لن أرحم كل من ساهم في هذه المؤامرة.

ثم انتبه على وقع خطوات أقدام الشيخ حامد المتجهة نحوه في بطء، حتى خمدت تلك الأصوات، اقترب الشيخ من وجه جلال وبصوته الجاد المرعب تحدث قائلًا:

-أتمنى أن تكون ضيافتنا قد أعجبتك أم أن هناك شيئًا لم يعجبك في الاستضافة يا ترى؟

فأجابه جلال على الفور بصوت مرتجف وهو يتحسس اتجاه الصوت بينما يتراجع للخلف برأسه في خوف قائلًا:

- كلا، فالأمر على ما يرام.

فضحك الشيخ ثم قال:

- **حسنًا، لنأتي الآن إلى الجزء المهم من الأمر، ألا هو سبب وجودك هنا وماذا نريد منك، وما تبقى يتوقف عليك.**

فرد جلال وبنفس الصوت المرتبك المرتجف متلجلجًا:

- **سأفعل كل ما تريده، أقسم لك، ولكن أرجوك دعني أعيش، دعني أغادر من هنا، أطلق سراحي.**

فرد الشيخ حامد في جدية قائلًا:

- **حسنًا، لنرى، والآن، أولًا، سوف أخبرك بسبب وجودك هنا وهو ناردين، هل تعرفها؟**

فأجابه جلال في اندهاش:

- **ناردين!**

فرد الشيخ في حزم قائلًا:

-أجل، طليقتك ألا تعرفها؟

فأجابه جلال متسائلًا:

- وهل تعرف أنت ناردين؟ وما علاقتها بهذا الأمر؟

فقاطعه الشيخ بصوت غاضب وأكثر حزمًا قائلًا:

- احذر، بقي لك سؤال آخر كهذا وتنتهي حياتك.

فارتعد جلال رعبًا ثم في فزع قال:

-عفوًا، عفوًا، لكن ما الذي تريده مني؟

- ستبتعد عن ناردين نهائيًا، ولن تمسها بسوء، لا هي، ولا أحد ممن حولها، هل فهمت؟ وإلا سوف تجد رصاصة واحدة تخترق رأسك الجميل هذا في ثوان أينما كنت.

فرد جلال فزعًا:

- حسنًا، حسنًا، أعدك، لن أقترب منها أبدًا، ولا من أي أحد ممن حولها.

- عظيم، والآن، توقع على هذا الشيك، وهو شيك لحامله بقيمة عشرة ملايين جنيهًا.

فصعق "جلال" ثم رد مندهشًا:

- كم؟ فهذا مبلغ كبير للغاية، يفوق قدراتي، لن أستطيع الحصول عليه.

فرد الشيخ مقاطعًا إياه في حزم قائلًا:

- اسمعني جيدًا، فإما أن توقع على هذا الشيك، وإما أن توقع على شهادة وفاتك، الخيار لك، أنا لا أريد أموالك القذرة تلك؛ فهذا الشيك سوف يظهر في حالة اقترابك ولو من بعيد من ناردين أو من أي أحد ممن حولها، هذا بخلاف الرصاصة التي ستخترق رأسك في لمح البصر.

فرد في فزع قائلًا:

- حسنًا، حسنًا، سأوقع، ولكن أرجوك اتركني أغادر.

- اتفقنا، لكنك ستبقى هنا، إلى أن نقرر نحن متى نطلق سراحك.

تركه وغادر المغارة، وفي الخارج أعطى الشيك لأحد رجاله الملثمين وطلب منه أن يدخل؛ ليجعل جلال يوقع عليه حتى لا يتعرف جلال وجهه. انتظر بالخارج؛ فدخل الرجل الملثم وفك أيدي جلال، والعصبة التي على عينيه وهو مصوبًا إليه السلاح؛ فأمره بأن يوقع على الشيك، ثم أعاد وثاقه مرة أخرى، وخرج إلى الشيخ فناوله الشيك الذي تفحصه بتمعن؛ ليتحقق من سلامة التوقيع، فابتسم في ظفر متمتمًا:

- **حسنًا، كل شي على ما يرام.**

ثم نظر إلى رجاله، قائلًا:

- **والآن، سوف ننفذ الجزء الأخير من الخطة، بعد أن أغادر؛ تفكون وثاقه ووثاق رجاله بالمغارة المجاورة له، ثم تحضرون لهم الطعام بعد أن تتوعدوهم بأن من يخرج من المغارة سوف يقتل في الحال، ثم تختفون تمامًا تاركين إياهم بالمغارات على اعتقادهم بأنهم إذا خرجوا فسوف يقتلون، وبعد مرور ساعات؛سيكتشفون أنه لا يوجد أحد، وسيحاولون الهروب، وهكذا تنتهي خطتنا اتفقنا؟**

فأجابه رجاله:

- **اتفقنا يا شيخنا.**

غادر الشيخ وبيده الشيك تاركًا جلال وقد اشتعل غيظًا وغضبًا، وفي المغارة حدث جلال نفسه قائلًا:

- لأخرج من هنا أولًا، وسوف ترين يا ناردين ما الذي سأفعله بك، أقسم، لن أرحمك، سأوريكِ مقتل جميع أحبائك بعينيك ثم سأقتلك بيدي، انتظري، ستشاهدين الجحيم على الأرض.

في هذه اللحظات، دخل رجال الشيخ وهم ملثمون، ففكوا وثاقه، وفعلوا بالمثل مع رجاله بالمغارة المجاورة، ثم وضعوا أمامهم الطعام والقليل من الماء قائلين:

- **إننا بالخارج، من يفكر أو تسول له نفسه بأن يخطو خطوة واحدة خارج هذه المغارة تكون نهايته على الفور.**

خرج رجال الشيخ تاركين جلال ورجاله مذعورين في المغارات مغادرين الجبل، وسرعان ما اختفوا. بعد مرور ساعات، نادي جلال على أحد الرجال؛ فهو لساعات لم يسمع لهم صوتًا، أو يشعر بأي حركة، ظل ينادي بأعلى صوته؛ فلا أحد يجيبه، اقترب بحذر وترقب من بوابة المغارة مطلًا برأسه إلى الخارج؛ لينظر، فلم يشاهد أحدًا، نادي مرة أخرى، لكن لا مجيب، نفس الشيء فعله رجاله، لكنهم خرجوا قبله حينما أحسوا بأنه لا يوجد أحد حول المغارة؛ ففروا جميعًا مهرولين ناجين بحياتهم،لم ينظروا حتى إلى جلال وما أصابه، كان كل همهم هو إنقاذ أرواحهم، أما جلال فبعد أن نادى ولم يلبي أحد نداءه أخذ يتقدم ببطء، وحذر خارج المغارة يتقدم خطوة ويتراجع خطوات حتى خرج بالفعل؛ فنظر حوله لم يجد أحدًا، نادي على رجاله فلم يجيبه أحد، فخرج يجري مسرعًا في هيستريا حتى إذا ما أدرك بأنه لا يوجد أحد، واصل الجري مهرولًا ملتفتًا للخلف مترقبًا دون أن ينتبه على خطواته المسرعة تلك إلى أين تقوده؛ فإذا بها تقوده إلى حافة الجبل، إلى الهاوية، لا النجاة كما ظن، انتهت خطواته إلى حافة الجبل؛ فلم يستطع أن يتراجع أو يتمالك نفسه؛ فخانته قدماه، سقط من أعلى الجبل؛ ليهوى إلى

الأسفل قتيلًا، لينتهي بموته عذاب ناردين وخوفها إلى الأبد، ليخط القدر نهاية هذا المختل كما يستحق.

لم يكن بحسبان الشيخ حامد أو نور الدين أو نادرين هذه النهاية مطلقًا، ولكن كان للقدر حساباته؛ ليغلق صفحة الفزع والعذاب في حياة ناردين، ويفتح صفحة جديدة، يملؤها الحب والأمل والسعادة، لم تكن تتخيل بأن القدر سوف يهديها إياها يومًا ما. كان القدر كريمًا معها بشكل لم تكن تحسب له حساب، كان عوض الله جميل كجمال روحها.

(الفصل العشرون)
"وانتصر الحب"

عاد الشيخ حامد إلى سكن ناردين ونور الدين، ثم نادى عليهما من الخارج بصوت تملؤه السعادة والانتصار قائلًا:

- **يا أولاد، آتوني مسرعين، أريد أن أبشركما بالخبر السعيد.**

فخرجا على الفور من غرفتيهما؛ ليستقبلا الشيخ بحماس وشوق ملبيين :

- **مرحبًا يا أبي، خيرًا؟**

فأجابهما الشيخ فرحًا:

- **خيرًا، وخيرًا كثيرًا.**

ثم أخرج الشيك من جيبه، وأعطاه لناردين قائلًا:

- **هذا صك نجاتك يا ابنتي؛ فهذه الورقة هي التى ستوقف ذلك المعتوه عن ملاحقتك، فبالتأكيد لن يفضل السجن هذا من ناحية، كما أن التهديد بالقتل، وما تعرض له وشاهدته عيناه يرعبه من ناحية أخرى، لذلك اطمئني يا بنيتي؛ فلم يعد هناك ما يخيفك أو يزعجك بعد الآن.**

ثم ابتسم قائلًا:

- والآن أريد أن أرى فرحتكما، أريد الرقص في عرسكما، أريد أن يكون عندي حفداء صغار.

فابتسمت ناردين، ثم صمتت خجلى، في حين أن نور الدين هب معانقًا الشيخ حامد قائلًا:

- شكرًا لك يا أبي، شكرًا لأنك أهديتنا السعادة والراحة، شكرًا لمساندتك لنا ودعمك، والأهم من ذلك، شكرًا لقلبك الحنون الذي احتوانا في غربتنا، لقد كنت أنت لنا الأهل، والأصدقاء، وكل شيء.

فرد الشيخ حامد ودموع الفرحة تنساب من عينيه قائلًا:

- بل الشكر لكما على هذه السعادة التي قدمتماها لي على مدار عام شعرت فيه بأني قد عشت حياتي التي تركتني وغادرت منذ ما يقرب الثلاثين عامًا. شعرت بأبوتي التي سجنتها بداخلي طوال عمري الماضي، شعرت بأنكما أبنائي؛ فلقد ملأتما عليَّ حياتي البائسة؛ فأصبحت سعيدة ذات معنى جميل بوجودكما فيهاوالآن، دعكما من هذا الحديث فيجب عليكما فورًا تحديد موعد عرسكما، هذا هو مطلبي الوحيد ومكافأتي التي أنتظرها منكما.

فابتسم نور الدين ثم عقب مازحًا:

- أما عني، فأنا أتمنى ذلك يا أبي العزيز، وأنتظر على أحر من الجمر، ولكن لنأخذ رأي العروس أولًا؛ ربما يكون لديها مانع.

ثم ضحك، وضحك الشيخ، لكن ناردين ظلت صامتة وقد كسى الخجل وجهها فزاده توردًا وحمرة، ففهم الشيخ بأنها هي الأخرى تريد الزواج من نور الدين فرد قائلًا:

- الرأي رأيي أنا، فأنا والدها وأبارك زواجكما، لنحدد موعد الزفاف.

وابتسم الجميع فى سعادة وفرح. حدد كلٌ من نور الدين وناردين والشيخ حامد موعد الزفاف بعد شهر من هذا اليوم؛ حتى يستطيع نور الدين أن يخبر أهله ويحضرهم، ثم يذهب إلى والد ناردين الحقيقى؛ ليطلبها منه كما هو معتاد، وكما تنص عليه العادات والتقاليد، اتفقا على أن يذهب نور الدين وأهله يوم الخميس القادم إلى والدها فى الإسكندرية، ومر يوم واثنان، وفي صباح اليوم الثالث، قبل ذهاب نور الدين إلى طلب ناردين بيومين فوجئت وهي بمزرعتها بالشرطة فلما رأى نور الدين سيارة الشرطة أسرع ليستعلم عن ماذا تريد الشرطة من ناردين؛ فسأل الضابط في انزعاج قائلًا:

- **خيرًا يا فندم، ماذا حدث؟**
- **لدينا عدة أسئلة نريد أن نطرحها على المهندسة ناردين.**

فانزعج نور الدين، بينما ناردين "شعرت بالخوف ثم عقبت متسائلة:

- **بشأن ماذا يا فندم؟**

فأجابها الضابط في حزم قائلًا:

- **بشمهندسة ناردين، أنتِ طبعًا تعرفين المدعو جلال المنشاوى، أليس كذلك؟**

فأجابته في توتر بدا جليًا:

- **نعم، أعرفه فهو كان زوجي، لكني تطلقت منه منذ عام تقريبًا، خيرًا يا فندم ماذا حدث؟**

فأجابها الضابط بصوت صارم تملؤه الشكوك قائلًا:

- لقد مات جلال، هل أنتِ على علم بهذا؟

صدمت ناردين؛ فالتفتت إلى نور الدين في ذهول، وجدته هوالآخر قد تجمد مكانه مصدومًا مما سمعته أذناه، فلقد دار برأسيهما في تلك اللحظة أن الشيخ حامد هو الذي ستتجه إليه أصابع الاتهام؛ فهل قتله بالفعل؟ هل ورط نفسه في هذه المصيبة؛ حتى ينعمان هما بحياة سعيدة وهادئة؟ هذا ما دار بعقليهما في لحظتها، ثم استجمع نور الدين نفسه قائلًا:

- **كيف مات يا فندم؟**

- **لقد وصلنا بلاغ من أحد البدو في طريق الإسكندرية مطروح الصحراوى، أنه أثناء تجوله لرعاية أغنامه كالمعتاد فوجئ بجثة لرجل ملقاة أسفل الجبل،**

والدماء تغطى ملامحه بالكامل؛ فأسرعنا إلى مكان الحادثة، وبعد البحث والمعاينة، خرجت من جثة القتيل بطاقته الشخصية وبعض متعلقاته، التي من خلالها استطعنا التوصل إلى شخصية القتيل؛ فقمنا بإعلام أهله وحضر والده وقد تعرف الجثة. التقرير المبدئى للمعاينة يقول بأن الجثة مر عليها ثلاثة أيام، ولكن تقرير الطبيب الشرعى لم يأتِنا بعد. بعد التحريات المكثفة، توصلنا إلى أنه قد كان زوجًا للمهندسة ناردين منذ عام، وعليه أتينا لجمع المعلومات وسؤالها، والآن أخبريني من فضلك متى آخر مرة شاهدتي فيها القتيل؟

تمالكت ناردين نفسها فلقد تذكرت قول الشيخ لها بأنها يجب أن تنفي تمامًا رؤيتها له أو محادثته، فردت في ثبات حاولت إظهاره مجيبة:

- **آخر مرة شاهدته فيها يوم طلاقنا ومنذ ذلك الحين كلٌ منا في طريقه، كما أنه لا أحد يعلم بأنني هنا؛ فلقد أخفيت عن الجميع بما فيهم طليقي مكان وجودي. الكل يعلم أنني بالخارج...**

فقاطعها الضابط متسائلًا:

- **ولمَ أخفيتي وجودك عن الجميع؟**

فأجابته قائلةً:

- **لقد كانت أعصابي منهارة، كنت أمر بفترة صعبة في حياتي؛ فأردت الابتعاد بقدر الإمكان.**

نظر إليها الضابط بنظرات شك ثم قال:

- **حسنًا، هل تستطيعين أن تخبريننى بمكان وجودك يوم السبت الماضي؟**

قاطعه نور الدين متسرعًا:

- **كانت معي هنا؟**

نظر إليه الضابط في تأفف وبحزم قال:

- **عفوًا، أنا أسالها هي، وهي التي سوف تجيب، من فضلك الزم الصمت إلى حين توجيهي الأسئلة إليك.**

فاعتذر نور الدين قائلًا:

- **عفوًا.**

ثم تابع الضابط وبنبرة صارمة قائلًا:

- **هيا أخبريني يا بشمهندسة، أين كنت يوم السبت الماضي؟**

فأجابته ناردين في ثقة كاملة:

- **لقد كنت هنا طوال اليوم في المزرعة، يمكنك سؤال العمال هنا، ثم عدت بعد العصر إلى السكن بصحبة نور الدين.**

فنظر إليها الضابط وقد بدى عليه أنه صدق واقتنع بحديثها، ثم علق قائلًا:

- حسنًا يا بشمهندسة، من المحتمل أن أطلبك لتقديم إفادتك مرة أخرى؛ لذا لا يجب عليك مغادرة هذا المكان لحين إشعار آخر.

- حسنًا، تحت أمرك يا فندم، في أى وقت تريد ستجدني هنا.

فشكرها ثم غادر، انفجرت ناردين في البكاء قائلة:

- هل سمعت يا نور الدين؟ هل يعقل أن يكون الشيخ حامد...؟

صمتت ثم تابعت وهي تبكي بانهيار شديد:

- لا، لا، لا أصدق، لا يمكن أبدًا.

نظر إليها نور الدين في ذهول أصابه هو الآخر ثم تمتم قائلًا:

- أى كارثة وضعت بها نفسك يا أبي؟ ما كان عليك فعل هذا بنفسك لأجلنا؟

قاطعته "ناردين" بصوت باكٍ حزين:

- لا، لايمكن، اتصل عليه يا نور الدين لنسأله عما حدث، هيا أسرع.

اتصل فأجابه الشيخ قائلًا:

- كيف حالك يا بني؟

فأجابه نور الدين بصوت مرتجف متقطع قائلًا:

- لماذا فعلت هذا يا أبي؟ لماذا فعلت هذا بنفسك وبنا؟

فأجابه الشيخ متسائلًا فى تعجب:

- ما الذي فعلته يا بني؟ أنا لا أفهم شيئًا.

فأجابه وقد أخفض صوته هامسًا:

- لماذا قتلته؟ لم يكن هذا ضمن اتفاقنا، أعلم أنك فعلت هذا من أجل حمايتنا، ولكن لماذا؟ نحن لم نكن نريد هذا.

فصمت الشيخ قليلًا ثم قال:

- قتلته! أنت مخطئ يا ولدي، فأنا لم أقتله، على العكس تمامًا لقد تركته يمضي إلى حال سبيله دون أن تُمَس منه شعرة؛ فكيف قتل إذن؟ عجبًا لا علم لي.

ثم قص على نور الدين كيف أن رجاله تركوا رجال جلال، وتركوه وغادروا، فشعر نور الدين بالارتياح، تنفس بعمق ثم رد في سعادة قائلًا:

- الشكر لله، الشكر لله.

فتعجب الشيخ متسائلًا:

- ولكن، كيف قتل هذا المعتوه؟

فأخبره نور الدين بما أخبره به الضابط، ثم قال:

- حسنًا يا أبي، سوف أخبرك بالتطورات فيما بعد.

وأغلق الهاتف مطمئنًا ناردين فتعجبا الاثنان، كيف قتل إذن؟ ومن الذى قتله؟ فعقب نور الدين:

- على أي حال، فإن تقرير الطبيب الشرعى سوف يوضح كل شيء بكل تأكيد، المهم أننا لا دخل لنا بما حدث.

فردت ناردين ولقد تتنفست الصعداء قائلةً:

- هل تعلم يا نور الدين؟ لقد استراح قلبي الآن بموته، رغم ما فعله الشيخ حامد إلا أنني كنت خائفة مادام هو على قيد الحياة؛ كنت سأظل خائفة حتى وإن لم أبدِ لكما هذا، لكن الآن استراح قلبي وهدأت نفسي؛ فالحمد لله الذي أنقذني من هذا الخوف.

فضمها نور الدين في صمت، هو الآخر لا يستطيع أن ينكر بأن قلبه قد اطمئن واستراح بموت ذلك المختل.

مر اليوم، وفي صباح اليوم التالي، استدعى الضابط ناردين إلى القسم؛ ليغلق التحقيق، فذهبت بصحبة نور الدين وفي قسم الشرطة، استقبلهما الضابط قائلًا:

- تفضلا بالجلوس.

فجلسا ينتظران ما سوف يخبرهما به من معلومات، ثم تابع حديثه قائلًا:

- لقد أتاني تقرير الطبيب الشرعي صباح اليوم؛ فأردت أن أعلمكما بما جاء فيه.

قاطعته ناردين قائلة:

- جيد، ما الذي جاء بالتقرير يا فندم؟

فأجابها الضابط قائلًا:

- بعد المعاينة، وتشريح الجثة اتضح الأتى، اتضح بأن القتيل هو الذي هوى بنفسه من أعلى قمة الجبل، وبأنه لا توجد أي شبهة جنائية في أن أحدًا قد قام بدفعه من أعلى؛ فلقد أثبت الفحص بأن الخطوات التي كانت موجودة أعلى الجبل بداية من أول المغارة وحتى انتهائها إلى قمة الجبل؛ حيث هوى الجثمان كلها للقتيل وحده، ولا توجد أي آثار هناك لأقدام أخرى في هذا الاتجاه الذي تمت فيه الحادثة.

فاندهش نور الدين، وأيضًا ناردين ثم علق نور الدين في تعجب قائلًا:

- ماذا يعني هذا؟ هل يعني أنه قد انتحر وألقى بنفسه من أعلى الجبل؟

فأجابه الضابط قائلًا:

- هو ذاك، بالفعل، هذا هو ما حدث، فلقد ألقى جلال بنفسه من أعلى الجبل وانتحر، بعد تشريح الجثة، لم يجد الأطباء بالجثة أي آثار للتعذيب، وجد فقط آثار خفيفة على معصميه وقدميه كأنه كان مقيدًا، لكن هذا لا علاقة له بحادثة الانتحار، معنى ذلك أن جلال قد انتحر فعليًا وعليه؛ فقد قررنا إغلاق الملف على هذا، وعليك التوقيع على إفادتك يا بشمهندسة، ثم بإمكانك الانصراف، فوقعت ناردين وانصرفت بصحبة نور الدين، وهي لا تصدق بأن القدر الذي اعتقدت هي في فترة من الزمن أنه قد كتب عليها

العذاب والحرمان هو نفسه الذي قررأن ينقذها ويهديها السعادة طوال عمرها؛ فلقد اختبرها بالعذاب أولًا؛ ليكافئها بالسعادة الدائمة حتى آخر عمرها.

انصرف العروسان وهما في غاية السعادة؛ ليتابعا حفل زواجهما، وبعد مرور أسبوع آخر أتم فيه نور الدين بناء منزله الصغير الذي كان يحلم به في مزرعته وأعده؛ ليستقبل أجمل عروس سوف تزينه، أخذ ناردين لتشاهده، فلكم كان رائعًا رغم أنه صغير إلا أنه كافٍ ليساع فرحتهما، كافٍ ليشهد على سعادتهما، كافٍ ليساع قلبيهما، كافٍ ليصبح لهما الدنيا كلها بسعتها وبراحها.

مر الأسبوعان، وجاء موعد الزفاف، استعد العروسان بصحبة أهلهما وأحبائهما، وأبيهما الروحي صانع السعادة وسندهما؛ ليقيما عرسهما في مزرعتهما.

لقد حقق كلٌ منهما حلمه، ولكن لا ليعيش فيه بمفرده، وإنما ليشاركه فيه شريكًا هو أقرب إليه من روحه بخلاف ما أعتقد كليهما؛ فلقد كانت لهما حساباتهما، ولكن كان للقدر حساباته التي لا يتوقعها بشر.

أقيم العرس بحضور الأهل والأصدقاء والشيخ حامد، كانت ليلة سعيدة وجميلة، أسدلت ستارتها على ما مر من ألم وعذاب؛ لترفع في صباح اليوم التالي على مولد أروع وأجمل قصة ستبقى حتى آخر العمر. **تمت بحمد الله**

الفهرس

"مقدمة الرواية" _____ ٥

"إهـداء" _____ ٧

"ناردين ونور الدين" _____ ٩

"رحلة إلى المجهول" _____ ١٤

"وكانت البداية" _____ ١٨

"خطوة على الطريق" _____ ٢٤

"اصطدام" _____ ٣٣

"المواجهة" _____ ٤٠

"هدنة طبق المعكرونة" _____ ٤٩

"يوم وليلة" _____ ٥٥

"وبدأت الحكاية" _____ ٦٤

"وتكتشفت الأسرار" _____ ٧٢

"حكاية خطها القدر" _____ ٨٢

"المفاجأة" _____ ٩٠

"رحلة فى الواحات" _____ ٩٧

"جنة الله على الأرض" _____ ١٠٨

"شبح الماضي" _____ ١١٩
"الاستعداد للخلاص" _____ ١٢٩
"ساعة الصفر" _____ ١٣٨
"تنفيذ الخطة" _____ ١٤٦
"للقدر حساباته" _____ ١٥٢
"وانتصر الحب" _____ ١٦١
الفهرس _____ ١٧٢